الميزاب الذهبي

ALTINOLUK

مجلة فصلية – العدد السادس والعشرون (أيلول–كانون الأول ٢٠١٨)

بذور خير

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ
فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)

رحابة الصدر

الصدور الرحبة التي تحمل السكينة وتنشرها

كلمة التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة القرآء:

لقد كان الأنبياء الذين كلَّفهم الله ﷻ بوظيفة التبليغ ينظرون إلى الناس من نافذة القلب؛ لأنهم جاؤوا من أجل عمارة القلوب، وقد كانوا سبباً في هداية كثير من الناس بسبب نظرتهم المليئة بالمحبَّة والشفقة تجاه المحيطين بهم، فلو أنَّهم تصرفوا بعكس هذا الأسلوب الجميل والحكيم لاقتلعوا العلاقة التي تربطهم مع الناس الذين حولهم من جذورها، ولأضاعوا في النهاية فرصة نجاحهم في مهمة التبليغ، وهذا الأمر يأتي بخلاف المراد الإلهي؛ لأن الله تعالى يريد تخليص عباده وانتشالهم من المهالك التي انزلقوا إليها، ومن أجل ذلك فقد أرسل الله تعالى عبر التاريخ الإنساني آلاف الأنبياء وأمرهم باتباع أسلوب لطيف لتزكية قلوب الناس؛ ومن أجل الغاية نفسِها تفضَّل الله على عباده (بأهل الله) الذين هم صفوة خلقه في التقوى والحكمة؛ لكي يتبعوا هذا الأسلوب النبوي في تربية الناس من الناحية الروحية والمعنوية، ويحافظوا على استمراره.

فلا يُرجى الخير من الخدمات والأعمال التي تُؤدَّى بأسلوب فظٍّ، وجارح، وجلف، والذي لا يأتلف مع الأخلاق الحسنة، وخاصة الخدمات والأعمال التي تخاطب روح الإنسان مثل التربية، والإرشاد، والتبليغ، إذ ينبغي إظهار أهمِّية للرحمة واللين في هذا المجال؛ حيث إنَّ الله تعالى يخاطب في القرآن الكريم كلَّ الأمة من خلال شخص فخر الكائنات سيِّدنا محمَّد ﷺ، فيقول:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)

تفيد هذه الرؤيةُ – في مجال العمل الإسلامي وفي كلِّ النشاطات البشرية أيضاً – أنَّ اللطف واللين والرقة الناتجة عن مراقبة أحوال المخاطبين الفعلية، وأحوالهم المحتملة أيضاً؛ يمكن أن تحقق أعظم النتائج، وهذه الرؤية هي المنطلق الأساسي في سلوك المتصوفين؛ إذ يجعلون أحوالهم أكبر مؤثِّر فيَّاض ومتكامل في مَن حولهم.

الميزاب الذهبي

مجلة تصدركل أربعة أشهر

العدد السادس والعشرون

(أيلول-كانون الأول ٢٠١٨)

رئيس التحرير

بيت الله دميرجي أوغلو

مدير التحرير

حسام يوسف

هيئة التحرير

بيت اللّه دميرجي اغلوا

حسام يوسف

آدم أزدمير

د. مراد قايا

التصحيح والتدقيق اللغوي

أ. حسن مرشد

أ. ابراهيم الحسن

التصميم والتنضيد والاخراج الفني

حسام يوسف

دار النشر والطباعة

Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi

Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60 / 3C

Başakşehir - İstanbul / TURKEY

Tel:+90 212 671 07 00 Faks:+90 212 671 07 48

الإشتراك

لكي تصلكم المجلة بشكل دوري

يمكنكم الإشتراك سنوياً بمبلغ ٣٠ دولار

كما يمكنكم المساهمة بإرسال المقالات والملاحظات على عناوين المجلة

للمراسلة

www.islamicpublishing.org

almizab2011@hotmail.com

almizab2011@gmail.com

المحتويات

٣

رحابة الصدر

أحمد طاش غَتيرن

٧

الصدور التي تحمل السكينة وتنشرها

د. آدم أركول

١٢

التوازن في حياة المسلم

شفيق كرامي

٢٨

جعفر الصادق-٤

الأستاذ: عثمان نوري طوبّاش

كلمة التحرير	١	جعفر الصادق -٤-	٢٨
رحابة الصدر	٣	تكريم الانسان	٣٥
الصدور التي تحملر السكينة وتنشرها	٧	العلامة المسجلة للدنيويين	٣٦
يجب أن نعلن النفير	١٠	الشعور بالأمانة	٤٠
التوازن في حياة المسلم	١٢	فضيلة العفووالإحسان	٤٢
القلوب التي نقودها	١٦	يا من تخشى الموت	٤٥
العلاقة بين الصورة والمعنى	١٨	الفوز بالأجر الكبير	٤٨
رؤية العالم بقلب صافي	٢٢	وفاة أسعد أربيلي	٥٠
التحلي بسعة الصدر	٢٣	اللّه نور السموات والأرض	٥٣
طريق الحق أدق من الدقة	٢٦	صفاء القلب كالفضة	٥٤
العشق الحقيقي	٢٧	الطعام الحلال	٥٦

ملاحظة: المقالات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

رحابة الصدر

أحمد طاش غَتيرن

"عليك بالمداراة، والصبر والاحتمال، وحسن الخلق، وسعة الصدر"

أثناء تأليفي لكتابي "وصايا ذهبية" اقتبست هذا القول من كتاب "محمد أبو زهرة" الذي يحمل اسم "أبو حنيفة"، ووضعتها عنواناً للقسم في ذاك الكتاب. وكان هذا القول عبارة عن أحد وصايا الإمام أبي حنيفة النعمان لتلميذه يوسف بن خالد السمتي عندما أرسله إلى البصرة. وكانت تشكل إطار "العلاقات الإنسانية" للإنسان المسلم. وكان الإمام أبو حنيفة يجيب من خلال تلك الوصايا على سؤال: ماذا تعني سعة الصدر، وكيف يتم الحديث عن ذلك؟.

وقد أوردنا في كتابنا "وصايا ذهبية" جزءًا أوسع من وصايا أبي حنيفة رحمه الله اقتبسناه من كتاب "معرفة نامه" للشيخ إبراهيم حقي الأرزرومي. وسوف نقدم لكم هنا القسم الذي أورده محمد أبو زهرة في كتابه "أبو حنيفة". فقد أوصى الإمام تلميذه قائلاً:

"واعلم أنك متى أسأت معاشرة الناس صاروا لك أعداء، وإن كانوا لك آباء وأمهات، ومتى أحسنت معاشرة قوم ليسوا لك بأقرباء صاروا لك أمهات وآباء.

وسأحدثك عمَّا يعترض طريقك:

كأني بك وقد دخلت البصرة وأقبلت على مَن يخالفوننا بها، ورفعت نفسك عليهم، وتطاولت بعلمك لديهم، وانقبضت عن معاشرتهم ومخالطتهم، وخالفتهم وخالفوك، وهجرتهم وهجروك، وشتمتهم وشتموك، وضللتهم وضللوك وبدَّعُوك، واتصل الشَّيْن بنا وبك، فاحتجت إلى الانتقال عنهم والهرب منهم، وهذا ليس من رأي؛

لأنه ليس بعاقل مَن لم يدارِ مَن ليس له مِن مداراته بُدٌّ حتى يجعل الله له مخرجا.

إذا دخلت البصرة استقبلك الناس وزاروك وعرفوا حقك، فأنزل كل رجل منهم منزلته، وأكرم أهل الشرف وعظِّم أهل العلم، ووقِّر الشيوخ، ولاطف الأحداث، وتقرب من العامة، ودَارِ الفجار، واصحب الأخيار، ولا تتهاون بالسلطان، ولا تحقرن أحداً، ولا تقصرن في إقامة مروءتك، ولا تُخرجن سرَّك إلى أحد، ولا تثقن بصحبة أحد حتى تمتحنه، ولا تصادق خسيسا ولا وضيعاً، ولا تألفن ما يُنْكر عليك في ظاهرك، وإياك والانبساط إلى السفهاء.

وعليك بالمداراة، والصبر والاحتمال، وحسن الخلق،وسعة الصدر، واستجد ثيابك، واستفره دابتك، وأكثر استعمال الطيب...وابذل طعامك، فإنه ما ساد بخيل قط. ولتكن لك بطانة تعرفك أخبار الناس، فمتى عرفت بفساد بادرت إلى إصلاحه، ومتى عرفت بصلاح ازددت رغبة وعناية. وزُرْ مَن يزورك ومن لا يزورك.

وأحسن إلى مَن يحسن إليك أو يسيء، وخذ العفو، وأمر بالمعروف، وتغافل عما لا يعنيك، واترك كل مَن يؤذيك، وبادر في إقامة الحقوق.

ومن مرض من إخوانك فعُدْه بنفسك وتعاهده برسلك، ومَن غاب منهم افتقدت أحواله، ومَن قعد منهم عنك فلا تقعد أنت عنه. وأظهر تودداً إلى الناس ما استطعت، وأفشِ السلام ولو على قوم لئام.

ومتى جمع بينك وبين غيرك مجلس أو ضمك وإياهم مسجد، وجرت المسائل وخاضوا فيها بخلاف ما عندك لا تُبدِ لهم منك خلافاً، فإن سئلت عنها أخبرت بما يعرفه القوم، ثم تقول: فيها قول آخر، وهو كذا وكذا، والحجة له كذا، فإن سمعوه منك عرفوا مقدار ذلك ومقدارك، فإن قالوا: هذا قول من؟ قل: بعض الفقهاء. إذا استمروا على ذلك وألفوه، عرفوا مقدارك وعظموا محلك.

وأعطِ كل مَن يختلف إليك نوعاً من العلم ينظرون فيه، ويأخذ كل واحد منهم بحفظ شيءٍ منه.

وخذهم بجلي العلم دون دقيقه، وآنسهم ومازحهم أحياناً وحادثهم؛ فإنها تجلب لك المودة وتستديم مواظبة العلم، وأطعمهم أحياناً، وأقضِ حوائجهم، واعرف مقدارهم، وتغافل عن زلاتهم، وارفق بهم وسامحهم.

ولا تبدِ لأحد منهم ضيق صدر أو ضجر، وكن كواحد منهم.

واستعن على نفسك بالصيانة لها والمراقبة لأحوالها...

ولا تكلف الناس ما لا يطيقونه، وارضَ لهم ما رضوا لأنفسهم.

وقدم إليهم حسن النية، واستعمل الصدق، واطرح الكبر جانباً.

وإياك والغدر، وإن غدروا بك، وأدِّ الأمانة وإن خانوك، وتمسك بالوفاء، واعتصم بالتقوى.

وعاشر أهل الأديان وأحسن معاشرتهم".

أليس هناك عبارة تقول:

كل كتب علماء المسلمين إنما هي لأجل فهم كتاب واحد. ويمكننا أن ننطلق من هذه العبارة لنقول: إن كل أقوال علماء المسلمين إنما هي شرح وتفسير لذاك الكتاب، وتصوير لأوصاف الرسول الأكرم والقدوة الحسنة محمد ﷺ. ولعله يمكننا القول

إن كل أقوال علماء المسلمين إنما هي شرح وتفسير لذاك الكتاب، وتصوير لأوصاف الرسول الأكرم والقدوة الحسنة محمد ﷺ.

ولعله يمكننا القول أيضاً:

إن كافة المساعي والجهود التي يبذلها المؤمن للاتشاح بشخصية إسلامية إنما هي عبارة عن نقل أوصاف وكمال رسول الله ﷺ إلى حياته.

أيضاً: إن كافة المساعي والجهود التي يبذلها المؤمن للاتشاح بشخصية إسلامية إنما هي عبارة عن نقل أوصاف وكمال رسول الله ﷺ إلى حياته.

حيث أنزل الله تعالى في أوصافه:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)

وإذا وقفنا على غزوة أحد وتأملنا ما حدث فيها من مخالفة بعض الصحابة الكرام لأوامر رسول الله ﷺ وخسارة المسلمين نرى أن رسول الله ﷺ لم يتضعضع ولم يخرج عن سمته وهديه.

فرسول الله ﷺ في ذلك الموقف الرهيب تتجلى فيه ثلاث صفات، أو إن جاز التعبير يشغل ثلاثة مناصب، فهو نبي، ورئيس دولة، وقائد جيش. وقد برزت هذه الصفات بكل مضامينها في غزوة أحد التي قد تُعد من أشد وأصعب مراحل حياة الرسالة التي مرت بها. فنحن نرى أن ذلك المضمون تمثل أولاً بنيل "رحمة الله تعالى"، ونتج عن ذلك "لين الجانب، والعفو"، ومن ثم ابتعاد تصرفه وسلوكه مع أصحابه عن "الفظاظة والغلظة" والقسوة. فمشاورة الناس في كلِّ مسألة وبغض النظر عن مستواهم ينبع من هذه الصفة القلبية، أي اللين وسعة الصدر.

ويتبين لنا من نهاية هذه الآية الكريمة الأهمية العظيمة لـ "التوكل على الله ﷻ" بعد تحقيق مرحلة "التقرير والعزم". وكأنَّ هذه الآية تقول للإنسان:

"إنك لا تملك القدرة المطلقة التي تمكنك من القيام بكل شؤونك بنفسك، ومن ثم فلا تنسَ عند قيامك بكل أمر قدرةَ الله تعالى على التصرف فيه وتوجيهه كيفما شاء، لذا دع الحكم النهائي لكل

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران: ١٥٩)

قرار تتخذه صغيراً كان أو كبيراً لله تعالى، لتنال أجر التسليم، وبركته".

وإننا نشاهد أن رسول الله ﷺ قد تجاوز كافة العوائق والمصاعب التي واجهته أثناء قيامه بمهمة الرسالة التي تُعد من أصعب المهام التي يُكلف بها إنسانٌ، تجاوز كل العقبات بسكينة قلبية ووقار وهدوء، وأثبت أنه إنسان يتمتع بالصفاء والنقاء الفريد من نوعه.

فكروا وتأملوا ملياً بحياته في المرحلة المكية، تأملوا كيف قاطعه أقرباؤه وعمومته وأبناء عمومته ونبذوا رسالته وأقصوه وحاصروه في سنوات التبليغ الأولى، وكيف اضطهد بأشد أصناف الاضطهاد والظلم التي تعرض لها على أيدي أعدائه من حوله، فاضطرَّ للرحيل وهجرة وطنه وبيته وأهله، وكم هُدِد بالقتل، وكم حاول أعداء الفتك به غيلةً، وكم غزوة خاضها ومعركة قادها في حياته المدنية، تارةً يكتب الله ﷻ له النصر المؤزر، وأخرى يبتليه الله تعالى بفقد أصحابه واستشهاد الكثير منهم في

المواطن التي كان يشهدها بنفسه وهو ضمن صفوف أصحابه في الميدان، وما يترافق مع ذلك من شدائد ومحن، ومد وجزر في الأحاسيس والمشاعر؛ فكروا بالجراح العميقة التي خلفتها الحروب في قلبه من فقد واستشهاد أعز وأحب أصحابه إليه في معركة أحد من أمثال الحمزة، ومصعب رضي الله عنهم جميعاً؛ فكروا بالخلافات والمنازعات التي كانت تحدث بين المؤمنين حديثاً بسبب تقاسم أموال الغنائم؛ فكروا بالأحداث والمشاكل التي كان يشهدها النبي عليه الصلاة والسلام في حياته العائلية مع أزواجه وآثارها على عالم قلبه؛ فكروا بهواجس ومخاوف النبي ﷺ بشأن المستقبل وانعكاس ذلك على قلبه...

إنَّ الإنسان الناجح لا تخفى جوانب حياته عن الأعين مهما كانت خاصةً وسرية، وما تميزه في محبته، وقيادته، وارتقاءه ونجاحه المستمر لفترة دامت ثلاثة وعشرين عاماً إلا أثر ونتيجة لتلك السكينة القلبية.

فعلى كل مؤمن أن يقتطف من حياة رسول الله ﷺ القلبية أزهاراً ويزين بها حياته القلبية.

إننا كبشر نشابه الرسول الأكرم عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم في بشريته، فنحن نقوم بأعمال ونمتلك القوة والسلطة، ونكسب، وننفق، ونتزوج، ونخلف الأبناء، ونقيم العلاقات مع الناس ونتواصل معهم... وإننا كمؤمنين مكلفون بتقليد رسول الله ﷺ أيضاً؛ فنحن مكلفون بالإيمان، وبالعيش وفق مقتضيات الإيمان، وبتبليغ الإسلام للآخرين... وكل هذه الأمور تصفي القلب وترقي الروح. ونحن وإن لم نكن بمستوى الصمود والرقي القلبي لرسول الله ﷺ، فمن الواجب علينا حيث أنَّا من أتباعه، وأنَّا عباد لله أن نضع نصب أعيننا الوصول إلى قلب مستعد لحمل "الأمانة"، ونجعل ذلك هدفاً نسعى إليه.

إن العيش في الحياة بقلب أنانيٍّ، وبقلب قاس كالحجارة لَهو في غاية الصعوبة. فكيف يستطيع القلب القاسي أن يؤسس عائلة؟ وكيف يشعر بالسعادة والسرور مع الزوج والأولاد، وكيف يستطيع إنشاء تواصل حميدٍ مع الناس في ميادين العمل، وإذا استلم إدارة مؤسسة فمن الصعب الحصول على إنتاج ونتائج إيجابية ممن هم تحت إدارته، وإذا تولَّى زمام السلطة في الدولة فمن الصعب بناء علاقة تتسم بالطمأنينة والشفافية مع عامة الشعب، وإذا ارتدى ثوب العلم والدين فمن الصعب أن ينشر السكينة والسلام... والحاصل؛ إن قسوة القلب هو مصدر الشقاق والافتراق لا التوافق والالتقاء.

يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (الفرقان: ٦٣)

فالإنسان لا يقابل دائما أناساً أسوياء عقلاء في هذه الحياة، "فالجاهلون" الذين لا يدركون غاية أو مهمة وجودهم في الدنيا موجودون في كل زمان ومكان. ومن صفات المؤمن في التعامل مع سفه هؤلاء وحماقتهم أن يقول لهم: "سلاماً".

إن قوله "سلاماً" هو أثر ودلالة على سلامة القلب. فهي لا تخرج إلا من قلب صاف نقي قد بلغ مرتبة السكينة، وقد وصل إلى مقام الرحابة والسعة بحيث صار بإمكانه إحياء من جاء لقتله، إنه قلب حي.

نسأل الله تعالى أن يكرمنا جميعاً بمثل هذا القلب.

إنَّ الإنسان الناجح لا تخفى جوانب حياته عن الأعين مهما كانت خاصةً وسرية، وما تميزه في محبته، وقيادته، وارتقاءه ونجاحه المستمر لفترة دامت ثلاثة وعشرين عاماً إلا أثر ونتيجة لتلك السكينة القلبية. فعلى كل مؤمن أن يقتطف من حياة رسول الله ﷺ القلبية أزهاراً ويزين بها حياته القلبية.

الصدور الرحبة التي تحمل السكينة وتنشرها

الدكتور: آدم أركول

لقد حدثنا القرآن الكريم في مناسبات عديدة، وبأساليب مختلفة عن سعة الصدور وضيقها. ويستخدم في هذا المعنى عبارة "شرح الصدر" و"ضيق الصدر". ويربط ذلك بحالة الإيمان والإسلام. ويلفت ربنا سبحانه وتعالى الأنظار في القرآن الكريم إلى أن القلوب والصدور التي دخل إليها الإسلام قد أنيرت بنور من ربها، وطهرت من الهواجس والمخاوف.

إن كلمة شرح إذا ما نظرنا في كتب الغريب والمشكل نجدها تأتي بمعنى الفتح والبسط، والتوسعة، ولكن إذا ما أضيفت إلى الصدر فإنها تعني على حسب تعبير الراغب الأصفهاني: "بسطه بالأنوار الإلهيَّة وحلول السكينة فيه وتأييده بروح من الله". وأما كلمة ضيق التي تستعمل في الفقر والبخل والغمّ ونحو ذلك؛ إذا ما أضيفت إلى الصدر فإنها تدل على معانٍ مثل: الضيق الداخلي والحزن، الغم، الكدر.

إن مسألة شرح الصدر وضيق الصدر يمكن تقييمها على ضوء القرآن الكريم من ناحية الإيمان أو الجحود على أنها مسألة اتساع أفق القلب، أو ضيقه. وإن شئت قلت: إن "شرح الصدر" هو إزاحة حجاب "الإنكار" الذي يحجب القلب ويمنع نفوذ أنوار الإيمان والإسلام إليه؛ وأما ضيق الصدر فهو بقاء القلب محجوباً بحجاب "الإنكار" والذنوب فلا تخترقه الأنوار ولا تظهر له الأسرار. وقد ورد في القرآن الكريم آيات تدل بشكل جلي على هذا المعنى، قال الله تعالى: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ...**﴾ (الأنعام: ١٢٥)

ويدخل في نطاق "شرح الصدر" إدخال السرور والفرح إلى صدر مصاب بالضيق والكدر بسبب مؤثرات خارجية. حيث إن الله تعالى ذكر ضيق صدر النبي عليه الصلاة والسلام وتكدره وحزنه بسبب مكر وأقاويل المنكرين وأفعالهم وتصرفاتهم المسيئة ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ**﴾ (الحجر: ٩٧)

ولإدخال السرور إلى قلب نبيه والتفريج عنه والتوسيع عليه أوصاه بقوله تعالى:

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل: ١٢٧)

وبناء عليه فإن جلاء صدر النبي ﷺ من الضيق والأحزان، وإدخال الفرح والسرور إليه نوع من"شرح الصدر". وعلى هذا المعنى حمل العلماء قوله تعالى:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الانشراح: ١)

فقالوا في تفسيره: ألم نخلصك من الضيق والأحزان، ونبلغك الراحة والسرور؟.

ويمكن التعبير عن هذا النوع من أحوال الضيق والفرج والمسرات التي تصيب القلب العامر بالإيمان بـ "القبض"، و"البسط". وإن كلمات القبض (الانقباض)، والبسط (الانبساط وهذه التسمية مصطلح صوفي مستمَدٌّ من الآية القرآنية الآتية:

﴿..وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ..﴾ (البقرة: ٢٤٥)

وهناك مسألة أخرى قد تندرج في أصناف "شرح الصدر"، وهي تبديد الهواجس والمخاوف، والتخليص من مشاعر القلق والتوتر، وإدخال الطمأنينة والسكينة إلى الصدر. وبهذا المعنى وَرَد دعاء موسى عليه السلام الذي نقله لنا القرآن الكريم وهو قوله:

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي. وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي. وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ (طه: ٢٥-٢٧)

فالمراد بـ "شرح الصدر" طرد المخاوف وإزاحة القلق والتوتر. وقد ورد ذلك صريحاً في الآية الأخرى:

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (القصص: ٣٤)

وعلى هذا المعنى فإنه يمكن أيضاً تفسير "شرح الصدر" على أنه طمْأَنة وتسكين قلب الشخص، وزيادة قدْرة تحمله.

إن ضيق الصدر يحول الحياة إلى جحيم، بينما سعة الصدر تحوِّل الحياة إلى جنة. وإن عالمنا الداخلي يتمتع بالاتساع والانبساط عن طريق الإيمان، حيث يقف المرء على أجوبة الكثير من الأسئلة التي تثير الهواجس والمخاوف وتصيب الصدر بالضيق والكدر، ومن ثم يصل إلى حالة من الطمأنينة والسكينة، وراحة البال. إن أولى حلقات سعة الصدر تبدأ بالإيمان، ومن ثم يزداد هذا الشرح والاتساع بتطبيق أحكام الإسلام، والتخلق بأخلاقه.

وإذا ما وصل المرء إلى حالة صار فيها وكأنه يرى الله ويشعر به في كل شيءٍ من حوله، أي وصل إلى مقام الإحسان فإنه حينئذ يصل إلى مرحلةٍ عليا من السعة والانبساط وشرح عالم القلب.

إنَّ أهل التصوف بشكل خاص يولون أهمية كيرة لشرح الصدر. حتى إنهم يرون أن هناك علاقة مباشرة بين سعة الصدر وبين الوصول إلى مرتبة الإنسان الكامل. حيث إن مولانا جلال الدين يصف ويصور سعة عالم القلب التي لا يقيدها الحد بقوله:

"إن القلب كائن تختفي فيه سبعمائة سماء من أمثال هذه السماوات السبع ثم تغيب عن الأعين".

(المثنوي، (ترجمة: شفيق جان)، ٥، ٨٠، البيت: ٨٧٢)

إنَّ أهل التصوف بشكل خاص يولون أهمية كيرة لشرح الصدر. حتى إنهم يرون أن هناك علاقة مباشرة بين سعة الصدر وبين الوصول إلى مرتبة الإنسان الكامل.
حيث إن مولانا جلال الدين -رحمه الله- يصف ويصور سعة عالم القلب التي لا يقيدها الحد بقوله:
"إن القلب كائن تختفي فيه سبعمائة سماء من أمثال هذه السماوات السبع ثم تغيب عن الأعين".

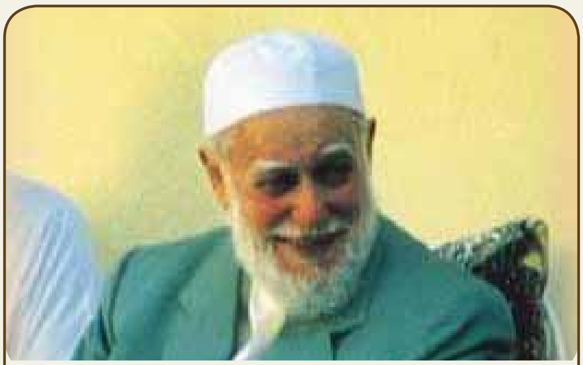

ويقول صاحب الوفاء موسى أفندي:

"من صار أسير رغبات نفسه وشهواتها فإنه محروم من السكينة وإن كان كثير العبادة. لأن صدره ضيق. ولا يعجبه سوى آراءه وأفكاره. وأينما حل حلت الازدواجية. لأن عالم قلبه مظلم. ومثل هذا الإنسان لا يُؤلف أبداً مهما بُذلت جهود ومحاولات. فإذا أريته الأبيض فإنه يصر على أنه أسود، وإذا ما أريته الأسود فإنه سيدعي أنه أبيض. وهو لا يحب أحداً أبداً سوى نفسه وآرائه. وإذا لم يحبَّ الناس فالناس أيضاً لا يحبونه، وكيف يحبونه وهو سيئ الخلق. فلا تستشر هؤلاء في أمر ما قطعاً، فلا ثقة في مشورتهم، واجتنب صحبتهم ما أمكن فلا خير مجالستهم. إنَّ الأخلاق التي ينتهجونها لعجيبة، تنسجم مع ضيق أفقهم، وضآلة تفكيرهم، وضعف إدراكهم، فوقعوا تحت تأثير ضيق الصدر، وقسوة المزاج، وسقم النفس ثم تراهم ينظرون لإخوانهم المؤمنين نظرة ازدراءٍ وصغار. فمعاشرة هؤلاء مستحيلة. لأنَّهم لا يستمرون على الوفاء، ولا تمضي أيامهم دون نزاعات، أو أزمات. ولا ريبَ أنَّ ضرهم وشرهم أكبر من نفعهم وخيرهم، سواء لأنفسهم، أو لمجتمعهم".

وقال بعض المتصوفة في معرض وصفهم سعة القلب:

"لو جُعل العرش وما يحيط به في قلب عارف فإنه لا يشعر به. إذ إن القلب واسع سعة تمكنه من الإحاطة بالعرش، والكرسي، والعقل، والنفس، وبكل شيءٍ محدود بالزمان والمكان وغير محدودٍ بهما".

(انظر: الإمام الرباني، المثنوي، ١، ١٠٠)

وإذا أراد الإنسان التخلص من الضيق الداخلي فعليه أن يخضع عالمه الباطن للتزكية والتربية. ومن الطبيعي أن يعاني من الضيق من كان في قلبه حسد وحقد، وكبر. وإنَّ من أعظم الأمراض الباطنية التي من شأنها التسبب بضيق القلب والصدر الأنانية والبخل. وكذلك حب الدنيا وما فيها، وبعبارة أخرى إشغال القلب بحب الأشياء الزائلة يسبب الضيق الداخلي. فذات يوم رأى مولانا الرومي أحد أصحابه مهموماً حزيناً، فقال له: "يا بني! إن ضيق القلب يأتي من تعلق القلب بهذا العالم. فإن أفنيت نفسك فإنك ستقدر على شم كل رائحة، وتذوق كل لذة. إنك ستحلق في عالم لا تجد فيه مكاناً لضيق الصدر أبداً".

لا يمكن نُحوِّيل هذه الدنيا إلى حياة مناسبة لأحوالنا فنحياها بحلوها ومرها، وبنجاحها وفشلها، وبصعودها وهبوطها، وبأفراحها وأحزانها، ونجعلها محطة استراحة وسكينة فلا يمكن ذلك إلا من خلال التحلي بسعة الصدر ورزانة الخلق. فالذين يتحلون بسعة الصدر يشعرون بالسكينة والطمأنينة من جهة، ومن جهة أخرى ينشرون الطمأنينة في محيطهم. وإن أهم شيءٍ نشعر بالحاجة الشديدة إليه في الحياة الأسرية، وفي جو العمل، وفي ميادين الخدمة، وفي العلاقات مع الجيران، ومع الأصدقاء، والأصحاب هو سعة الصدر. فالقلوب الواسعة لا يتعكر صفوها، ولا تصدأ ولا تتكدر أبداً. وإن الذي يجب فعله في هذا الطريق هو الوصول في الإيمان إلى مرتبة اليقين من خلال تعهد النفس بالتربية والتزكية، والتمسك بأحكام الإسلام وأخلاقه، والأهمُّ من ذلك هو السعي للوصول إلى مقام الإحسان من خلال حالة الذكر الدائم ليسمو هذا القلب فوق عالم المادة ويحتضن الكون كله ليشعر بالمعية مع الله تعالى.

مع الشيخ نور الدين يلدز حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

يجب أن نعلن النفير في

إزالة الرواسب عن القلوب

قال الله تعالى:

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ...﴾ (آل عمران: ١١٠)

يجب على علمائنا ومشايخنا، وأساتذتنا –وقد طالما دار على ألسنتهم إعلان نفير عام– أن يبدؤوا بـ مسألة جلاء القلوب وإزالة الرواسب وآثار التلوث عنها. وإن خطبة الجمعة وحدها لا تكفي في هذا المجال. فعلينا أن نقوم بهذا الأمر أو هذه المهمة خارج الفترة الممتدة من الساعة ٨,٠٠ – ١٧,٠٠. أعني أن يكون العمل في سبيل نيل رضا الله تعالى، وليس بنيَّة القيام بواجب وظيفي فحسب.

لذا يجب على العلماء والمشايخ القيام بحملة عامة، وينبغي على المفتين، وكل من له صلة بالأمر التجرد لهذا النفير القلبي.

إننا كوقف أو مؤسسة نقول تأسسنا لهذا الهدف أو بهذه النية ثم نجتمع كل أسبوع، أو كل شهر، وندعو شيخاً ليلقي كلمة ثم ننصرف. علينا أن نسأل بعضنا: كم شاباً جديداً جذبته إليك؟ ما مدى سيطرتك على هؤلاء الشباب وتحكمك بهم؟ كم امرأة شكت إليك زوجها، وأصلحته؟ كم من الأسر لممت شملها وأصلحت بين الأزواج بعد أن أشرفوا على الفراق والطلاق؟ كم كان عدد أعضاء جمعيتك عند التأسيس وكم عددهم الآن؟

ذات مرة قلت لإمام أعرفه: كيف يسير عملك؟. فقال: بشكل جيد يا أستاذ، فمنذ ستة عشر عاماً وأنا في هذا المسجد، ولم أتغيب يوما ما عن وظيفتي حتى في أيام إجازاتي. فقلت: كم عدد سكان هذا الحي؟. فقال: لا أعلم. ثم صلينا الظهر معاً في الجامع، وكان عدد الحاضرين قريباً خمسين مصلياً. فقلت: حسب تقديري فإنه من المفروض أن يمتلئ هذا المسجد عند صلاة الظهر. فقال: وهل أنا إمامٌ لمن لا يأتون إلى المسجد؟ أنا لست إماماً لمن لا يأتي إلى المسجد! قلت: فمن إمام الذين لا يأتون يا شيخي؟ فأنت يوم

القيامة إمام كل مكان يُسمع فيه هذا الأذان. وإذا كان الحاضرون يأتون إلى الجامع فلم تصرخ وتنادي وتزعج الناس بالأذان؟ فكر بالذين لا يحضرون أيضاً. فقال ممازحاً: حينها يزداد معاشي كثيراً... قلت له: افعل، وخذ معاشك، ولكن خذه من الله تعالى. لأن ميزانية الدولة عاجزة عن وفاء أجر الدُّعاة. يجب على الجوامع، وجمعيات الجوامع، وجمعيات المجتمع المدني تشكيل مجلس شورى اعتباراً من اليوم لإثبات اعتبارهم واتعاظهم من مثل هذه الآفات. ويجب عليها طرح أسئلة من قبيل: كيف بدأنا في مجلس الشورى هذا؟ وأين وصلنا؟ وما مدى النجاح الذي وفقنا إليه؟. إذ لا معنى لأن يصفق المرء لنفسه. ولا حاجة لإجراء كشف لمجرد معرفة ما إن كانت النقود التي أنفقناها بوصل أم لا. فالوصل وثيقة تقدم للدولة، فهل الملائكة أيضاً تنظر إلى هذا الوصل؟. أجل يجب أن نفعل هذا.

سوف أشير إلى حديث لنبينا عليه الصلاة والسلام. تُرى هل نجلس وندعو قائلين: "اللهم أصلح لنا أحوالنا، ولا تبتلنا".

ولكن هل ستعود علينا بالفائدة! لا لن يكون لها فائدة يا أستاذي الكريم... ولم؟ لأن حقنا في الدعاء قد مات... أقول مرة أخرى: إن حقنا في الدعاء كأمة قد مات... حسن؛ ولكن لم؟ ماذا يقول نبينا عليه الصلاة والسلام:

"لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر ...أو يدعو خياركم فلا يُستجاب لهم". فليس المسلمون العاديون من مثلنا لا يُستجاب دعاؤهم فحسب، وإنما لا يقبل الله تعالى دعاء أكثر المؤمنين صلاحاً وتقوى. ولماذا؟ لأنه لا الأب يُعنى بابنه، ولا العم بابن أخيه، وحتى الشيخ الذي بلغ الثمانين من عمره لا يستطيع أن يُقدم نصيحة... لماذا؟ لأنه أصبح لكل إنسان حقوق... جلس كل واحد في زاوية ووضع لنفسه حقوقاً وحدوداً ليس لأحد التدخل فيها وتجاوزها.

لا. ليس هذا شأننا، فنحن أمة لا نُقرُّ الخطأ حتى الشيخ الذي يخرج من المسجد يُعنى بالأخطاء التي يراها في طريقه إلى أن يصل إلى بيته، وفي كل مرة يرى فيها أحداً يرتكب خطأً يقول له ناصحاً: يا بني لا تفعل هذا، فالله تعالى سوف يعاقبك، ويهلكنا معك. ليقل كل إنسان ذلك ويأخذ الأجر، ثمَّ ليقل الطرف الآخر ما شاء، ليقل: اهتم بشأنك، ولا تتدخل بي. وهذه العبارات وما شابهها أعظم أجراً للناصح. ليذهب الإنسان إلى بائع الخمر ويمنعه من بيعها قائلاً: إنك تبيع هذا السم وتؤذي أطفالنا ونحن زبائنك، فلا تفعل ذلك... وليشعر صاحب الدكان أنك لم تعد تمر به وتشتري منه لأنه يبيع المشروبات الكحولية، ومن ثم يتوقف عن ذلك... لقد تغلغلت في داخلنا الثقافة الأوروبية ووصلنا إلى حالة لم يعد أحد يهتم بأحد، ولم يعد يهتم الناس بالمرضى من جيرانهم. إن الأمر بالمعروف في الوقت ذاته إنسانية... والنهي عن المنكر في الوقت ذاته إنسانية...

ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الطابع المميز لهذه الأمة... وعندما انتفى عنا هذا الطابع تسللت إلينا طبائع الكفار والمنكرين.

ولهذا وإذا أردنا أن نلخص الأمر نقول ينبغي أن نجتمع جميعنا في الجمعيات، ومنظمات المجتمع المدني وكل كيان أو مؤسسة وضعَتْ نصب عينيها رضا الله، ونستخلص النتائج من التحاليل والدراسات التي نجريها على العائلة، والجمعيات، والأوقاف، والمدارس وغيرها لنرى كيف نبدو؟ نفعل ذلك لا لنرى الظواهر، أو الطبقة الخارجية للجرح، وإنما لننفذ إلى الباطن ونرى الخلل القائم في الدم المتدفق من القلوب. يجب أن لا نتهيب من هذا الأمر وصعوبته وطول مدته، فلتستمر لعشرة أو عشرين سنة. يجب أن ننشئ جيلاً جديداً شعاره "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

الأستاذ: شفيق كرامي

التوازن في حياة المسلم

اللهمَّ أخرجنا من ظلمات الوهم، وأكرمنا بنور الفهم، وافتح علينا بمعرفة العلم، وسهِّل أخلاقنا بالحلم، يا أرحم الراحمين.

وبعد: فالتوازن والاعتدال هو مادة الحياة وأساسها وميزانها القويم الذي تقوم عليه، والتوازن والاعتدال هو مهارة من مهارات الحياة الضرورية التي ينبغي العمل المستمر على اكتسابها وإتقانها لكل إنسان، لأنَّه مفتاح السعادة وطريق النجاح في الدارين. و لما كان التوزان يشمل جميع النواحي الدنيوية والدينية على حدٍ سواء كان لزاماً أنْ نحدد محاور نسير وِفقها، وهي أربع.

– المحور الأول: التوازن في العبادات:

يتحمس بعض الشباب المسلم في بداية استقامتهم وإنابتهم إلى بارئهم فيجتهدون في القيام بعبادات ونوافل كثيرة، كصيام التطو ع باستمرار، أو قيام الليل كلّه أو أغلبه، أو العكوف على تلاوة القرآن كلّه في أيام قليلة تُجهِدُهُم، ويكلفون أنفسهم بتكاليف قد لا يطيقون الاستمرار عليها مستقبلاً، ثمَّ ما يلبث بعد ذلك أنْ يتراجع رويداً رويداً بسبب ما يعتريه من إرهاق ونَصبٍ، فيجدُ لوعة في أعماق نفسه: أنْ لماذا هذا التقصير بعد إذ هداني الله...! ويتمنى أن لو تعلَّم فقه التوازن والاعتدال في حياته، وأن لا يشدد على نفسه ويلزمها طاعات كثيرة قد لا يقوى عليها بعد تقدم السنِّ أو كثرة المشاغل الضرورية التي توجبها طبيعة الحياة على المرء.

وهذا ما حصل مع الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص ﵁ في شبابه ، وأرشده النبي ﷺ إلى الاعتدال والتوازن، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄، قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الله، ألم أُخبَرَ أنّك تصوم النهار،

وتقوم الليل...؟»، فقلت: بلى يا رسول الله قال: «فلا تفعلْ صُمْ وأفطِرْ، وقُمْ ونَـمْ، فإنَّ لجسدكَ عليك حقاً، وإنَّ لعينكَ عليك حقاً، وإنَّ لزوجكَ عليك حقاً، وإن لزَورِكَ [أي: الزائر] عليك حقاً، وإنَّ بحسبكَ أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام، فإنَّ لك بكل حسنة عشرُ أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر كله»، فشددتُ، فشددَّ عليَّ، قلت: يا رسول الله إني أجد قوة قال: «فصمْ صيام نبي الله داود عليه السلام، ولا تزدْ عليه»، قلت: وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام...؟ قال: «نصف الدهر»، فكان عبد الله يقول بعد ما كبر: يا ليتني قبلتُ رخصة النبي ﷺ. (أخرجه البخاري)

نتعلَّم من هذا الحديث الاعتدال والتوازن في أمور حياتنا، خصوصاً الشباب المتحمس، فـالتوازن في حياة المسلم بأن تتكون شخصية الإنسان المسلم تكوناً معتدلاً سليماً، بحيث لا يطغى فيها جانب على حساب جانب آخر، ولا يُغفل فيها جانب بسبب الاهتمام الزائد بجوانب أخرى غيره، هذا هو التوازن في حياة وشخصية الفرد المسلم.

- المحور الثاني: التوازن بين مطالب الحياة:

تتنوع مطالب الحياة وخصوصاً في وقتنا المعاصر ما بين السعي في تأمين الحاجات المادية والحياة الكريمة، والاعتناء الجيد ببناء جسور التواصل الأسرية والاجتماعية، والقيام بالواجبات الدينية وأداء الحقوق في العمل، إلى جانب بالرعاية الصحية ومتعلقاتها، وغير ذلك من المطالب التي قد يعسر ذكرها، ولكن مع كل التزاحم والتراكم في المطالب فإنَّ إحداث التوازن بين هذه المتطلبات على اختلاف أنواعها ليس بالأمر الذي يعسر على المرء إذا ما فعَّل مفهوم التوازن والاعتدال في حياته، و لعلَّ ما دار بين الصحابيين الجليلين سيدنا أبي الدرداء وسلمان الفارسي رضي الله عنه خير مثال يعالج تلك القضية ويوضح مفهوم التوازن، عن أبي جُحيفة رضي الله عنه، قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء رضي الله عنه، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء مُتَبَذِّلَةً، فقال: ما شأنك...؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس به حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع لو طعاماً، فقال له: كُلْ فإنيّ صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، فلمّا كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال لو: نَمْ فنامَ، ثم ذهب يقوم، فقال لو: نَمْ، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قُمْ الآن، فصليا جميعاً، فقال له سلمان: إنَّ لربكَ عليكَ حقّاً، وإنَّ لنفسكَ عليكَ حقّاً، ولأهلكَ عليكَ حقّاً، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان». (رواه البخاري)

فقد تعلَّم سلمان رضي الله عنه في مدرسة النّبوة التوازن والاعتدال بين متطلبات الروح والجسد، حتى لا يقع المسلم في الظلم لزوجته، أو لنفسه، أو لزائريه، وحتى لا يقع المسلم في هذا الأمر، فعليه أن يتدرب على التوازن بين الواجبات، ويتعود على الاعتدال بين مطالب الحياة.

كان في إرشاد النبي ﷺ وحضّه على العمل والكسب الحلال أفضل طريق وأشرفه لإحداث التوازن في توفير الاحتياجات اليومية للمسلم وأهله ومن يَعُولُهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله، فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا، فيسأله أعطاه أو منعه» (رواه البخاري)

- وكان في إرشاد النبي ﷺ وحضّه على العمل والكسب الحلال أفضل طريق وأشرفه لإحداث التوازن في توفير الاحتياجات اليومية للمسلم وأهله ومن يَعُولُهم، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

«والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله، فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا، فيسأله أعطاه أو منعه» (رواه البخاري)

فكان الكدح والجدُّ والاجتهاد والعمل هو من يحقق التوازن والكرامة في حياة المسلم.وجاء الأمر

في كتاب الله تعالى بالتوازن والتوسط في الأكل والشرب أيضاً ، وقد اتضح لكل متخصص في علوم التغذية فائدة هذه الأوامر بالبعد عن الإسراف في تناول الطعام والشراب على صحة الشخص، قال تعالى:

﴿...وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأعراف: ٣١)

وجاء الأمر بالتوازن والحكمة في الإنفاق للمال والاعتدال في المصروفات، ووضع الإسلام منهجاً متكاملاً للاقتصاد والمال، قال تعالى:

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (الإسراء: ٢٩-٣٠)

- المحور الثالث: التوازن عند تحمل المسؤولية:

بعض المتحمسين عندما يرى ما يحدث لأمته من ذلٍّ وهوانٍ، تأخذه العاطفة فتراه متحمّساً حماساً شديداً للعمل للإسلام، فيدفعه ذلك إلى الانشغال بأمور الدعوة بين الناس، أو الأعمال الخيرية والخدمية، ويهمل دراسته أو وظيفته، أو حتى بيته ظنّاً منه أنّ الأولوية للدعوة والعمل الإسلامي، وينسى حقّ أهله، ولزوم تطوير ذاته، وواجب القيام بعمله على أكمل وجه، ولا يعمل بمبدأ التوازن والتوسط الذي كان محور وعماد حياة النبي ﷺ، والذي جاء الأمر الصريح بجعل منهج حياته ﷺ منارةً شامخةً يقتدي بها كل مسلم حتى يرث الله الأرض ومَن عليها، قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١)

- وعندما يرى بعض الناس الذجوم الشرس الذي يتعرض لو المسلمون من الأعداء، والخطط المتواصلة والمؤامرات المستمرة للتغريب و طمْس الهوية الإسلامية لأبناء الأمة- سواءٌ في وسائل الإعلام أو مناهج التعليم - فإنّه يبدو خائفاً على أولاده من هذه الهجمة الشرسة ومن الانحرافات المنتشرة، فينعكس هذا على تصرفاته التربوية مع أولاده، فيمنعهم من الزيارات أو الاختلاط بالآخرين، أو يراقب كل تحركاتهم ولا يمنحهم الثقة في أنفسهم، ولا يحاول من البداية ترسيخ مبدأ الخوف من الله تعالى في نفوسهم، فإذا ابتعد عنهم وقعوا فيما كان يخاف منه...! ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولو أنَّه زرع في أفئدتهم قولو تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الحشر: ١٨)

لكان خيراً لهم وأشدَّ تثبيتاً.

- بعض الناس عندما تكثر الفتن التي تحيط بالمسلم في الليل والنّهار، فيخاف على نفسه ويفكِّر في كيفية النّجاة منها، فيتّخذ من العزلة والانغلاق على الذّات مغارةً آمنةً يطمئن إليها، ويهمل واجبات أخرى كثيرة تقوم على عاتقه، وتحتم عليه مواجهة الحياة بكل مصاعبها، والوقوف أمامها مستعيناً بحول الله وقوته، متناسياً نهج النبي الكريم ﷺ الذي لاقى الكثير من الصعاب في طريق دعوته فما كان منه عليه الصلاة والسلام سوى الصبر والمصابرة والاستعانة بالله ﷻ، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠)

- أو على العكس من ذلك تماماً، فقد تستغرق تقلب الأمور السياسية، وكثرة الحركات الثورية، واحتدام الأحداث اليومية، واتساع دائرة التجاذبات المصلحية، والجلوس المتواصل أمام شاشات التلفزة لمتابعة النشرات الإخبارية قد تستهلك حياة الإنسان وذهنه وتفكيره وحتى أحاديثه، فيهمل جوانب أخرى

عديدة من حياته تؤثر تأثيراً سلبياً على مختلف الدوائر المحيطة به، فالاعتدال والتوازن، والمداومة على قراءة سيرته ﷺ هو الحل.

- المحور الرابع: التوازن العاطفي:

يحاول المسلم أن يتعلم مبدأ التوازن في حياته العاطفية، ويتدرب ألا ينخرط بشدة في بكاء أو حزن إذا ما وقعت له مصيبة أو أصابه ابتلاء، أو يفرط ويسرف في عواطفه و حبِّه، أو في أي منحى من مناحي الحياة العاطفية.

فبعض الناس يفرط في بعض العلاقات، كالحبّ الشديد من صديق لصديقه، وأيضا يسرف بعض الناس في الفرح والضحك، أو يسرف في الحنان والعاطفة، أو في الشعور بالسعادة لكثرة مال أو ولد، أو الوصول لمنصب أو جاه، ويظنّ أنّ هذا هو المنبع الوحيد للسعادة، وأن لا حياة له إلا به، ولكن قد تتغير الأحوال وتتقلب الأمور، وقد يصدم أو تتحطم نفسيته إذا فَقَدَ المال أو هجره الحبيب، أو إذا تخلى عنه الصديق، أو يشعر بخيبة أمل كبيرة تؤثر على توازنه واعتداله بل على مسار حياته كاملاً.

وحتى تكون ردة فعلنا متوازنة يجب أن نتعلم مبدأ التوازن، وندرب أنفسنا كيف نكتسب مهارة التوازن في الحب والمشاعر، ونتمرن على ممارستها في كل أمور حياتنا؛ فالتوازن في العواطف والمشاعر أمر محمود بحيث لا يطغى أمر من أمور حياتنا على آخر، وبهذا المعنى جاء توجيه نبوي كريم، وهو قول النبي ﷺ:

«أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما» (رواه الترمذي: ١٩٩٧)

فهذا توجيو كريم للاعتدال في الحب وعدم الإسراف في العواطف، وتقدير كل شيء بقدره المناسب له، دون إفراط أو تفريط.

فلنرفع إذن شعار التوازن والوسطية والاعتدال في كل أمور حياتنا، ولنتذكر أن الله ﷻ جعلنا أمة وسطاً **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾** (البقرة: ١٤٣)

ولنتخذْ من حديث رسول الله ﷺ هذا:

«قَارِبُوا، وَسَدِّدُوا، وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ كُلَّ مَا أَصَابَ الْمُسْلِمَ كَفَّارَةٌ لَهُ حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا أَوِ النَّكْبَةُ يُنْكَبُهَا» (رواه البيهقي في السنن الكبرى)، نبراساً ينير لنا الدّرب في كل شؤوننا حتى نلقى الله وهو راضٍ عنّا إن شاء الله.

الغرض من الأخلاق أن يهذب الإنسان من صفاته وخصائصه ليكون "إنسانًا كاملا" في نظر الإسلام يستشعر أنه تحت نظر الحق جل وعلا فبذلك تصير الخصائص العليا مثل اللطافة والظرافة والأدب والحياء والكرم والجود والشفقة والرحمة وغيرها من الصفات الكريمة فطرة طبيعية منقوشة في جوهر الإنسان .

وفي هذا الصدد ، فإن الأخلاق جزء لا يتجزأ من الدين والإيمان ، بل هي بمثابة الروح والجوهر من الدين . كما أن نبينا ﷺ الذي أرسل رحمة للعالمين ودليل هدايتنا يبين عن وظيفته العظيمة هذه بقوله:

"بعثت لأتمم حسن الأخلاق"

(موطأ مالك ، الجامع، حسن الخلق ٨)

محمد دينج

القلوب التي نقودها

كان عثمان باموك أوغلو باشا في العقد التاسع من القرن الماضي قائد فوج في منطقة جنوب شرق تركيا التي شهدت خلال تلك الفترة أعنف الصراعات والمعارك الدامية. ويبدأ كلامه في مذكراته التي يتحدث فيها عن تلك الأيام وأحداثها بالكلمات الآتية:

"إنَّ في الدنيا طفلاً واحداً من أجمل الأطفال، وكل أم هي أم ذلك الطفل".

لم يكن أشد وأصعب الأمور على عثمان باشا الذي كان في كل لحظة يشمُّ رائحة الموت، ولم تكن رؤيته لمئات الجنود وهم يستشهدون في أحضانه، ولا أزيز أصوات الرصاصات التي تكاد تشق غشاء أذنه، أو حالة التأهب والاستنفار المستمر ويده على زناد بندقيته. لا شك أن تلك الأمور صعبة، إلا أن أصعب الصعاب، وأشد الشدائد، بل أثقل من الموت ذاته حسب رأي عثمان باشا هو إخبار الأم بنبأ استشهاد ولدها. لأن هذا الولد هو " أجمل ولد في الدنيا".

وإنك بدورك أجمل طفل في الدنيا بالنسبة لأمك كنت من تكون، وبغض النظر عن منصبك، ومكانتك، ومالك، وملكك، وقدراتك، ومواهبك ومهاراتك. وليس هناك شيء يستطيع أن يغير هذه الحقيقة، لا تقدمك في السن، ولا شيب شعرك، ولا أن تتزوج وترزق بالأبناء، ولا حتى أن يتزوج أبناؤك وتُرزق بأحفاد.

تبني الأم حولك آلاف الأحلام والتطلعات قبل مجيئك إلى الدنيا، وتتحمل مختلف أشكال الألم والمعاناة والصعاب لمدة تسعة أشهر لكي تأتي إلى الحياة حيًّا، وما إن تفتح عينيك على الدنيا حتَّى تلازمك ولا تفارقك، وتصبح أنت النفَس الذي تتنفسه، فأنت في نظرها المحور الذي تدور الدنيا حوله، وأنت الذي تُعاش الحياة من أجله. إنها منذ أن ترى عيناك النور تسهر الليالي الطوال لأجلك، فتمرض لمرضك، وتتألم لألمك، وتتحمل بصبر ورحابة صدر مشاكلك ومتاعبك لشهور وأيام، وما إن تخطو خطواتك الأولى، وتنطق بكلمة "أمي/ ماما" حتى تنسى كل ما عانته بسببك. ثم تكبر، وتكبر مشاكلك.

إنها تواجه المشاكسات والمشاغبات، والمشاجرات وحالات الغيرة بين الأخوة التي تبدأ من سن ٣ – ٥ أعوام

بكل صبر ومحبة وشفقة. ثم تبدأ بعد ذلك هواجس المدرسة. فهناك من هو أكثر اهتماماً وانفعالاً منك أثناء القيام بالتحضيرات لأجل المدرسة. إن أمك عندما تأخذ بيدك في أول أيام الدوام وتذهب بك إلى المدرسة وتتركك في صفك ثم تغادرك هناك وترجع فإنها من جهة تشعر بالفخر لكونك بدأت مرحلتك الدراسية، ومن جهة أخرى تشعر بشيء من الحزن لكونك ابتعدت عنها وفارقتها قليلاً، فهي تبكي وتضحك في آن معاً. وعندما تتقدم في الحياة فإن المشاكل والمصاعب التي تعرضت لها في المدرسة (وعرضت أمك لها) سوف تبدو أخف وأبسط بالمقارنة مع تلك التي ستظهر في مرحلة المراهقة.

إذ أن أخطر وأكبر الهموم والمشاكل سوف تظهر في فترة المراهقة التي تخطو فيها أخطر الخطوات نحو البلوغ والرجولة. وإن أمك سوف تتحمل من جهة مشاكلك ومشاكساتك، وحدة طباعك، واضطراب سلوكك وتصرفاتك الناتجة عن التغييرات التي تحدث في جسمك وفي قلبك ومشاعرك، ومن جهة أخرى سوف تتصدى للمنازعات والمشاكل التي تحدث بينك وبين أبيك، وتجعل من نفسها درعاً واقياً بينكما.

تمضي الأيام والسنوات، وتتقدم الحياة وترى في لحظة من اللحظات أن أعمالك، وزواجك، وأبناءك، ومشاغلك قد دخلت فجأة فيما بينك وبين أمك، وأخذت تسرق شيئاً فشيئاً من الوقت الذي تقضيه معها. إلا أنها تنتظرك عند كل خطوة تخطوها، ومستعدة لتقديم المساعدة لك كلما احتجت إليها. فهمها الوحيد إلى نهاية عمرها هو أنت، وأولادك. فلم يعد لديها ما تنتظره من الدنيا والحياة سوى أن تعيش أنت بسعادة وهناء.

إن الأمهات بالنسبة لنا ملائكة الخير. ولهن في رقابنا من الكد والتعب، وتحمل الشقاء والألم في سبيلنا ما لا يكفي الوفاء به، تذكرهن ليوم واحد في العام. وإن قلوبهن هي القلاع التي نقف قادة عليها. والواجب علينا أن نحمي القلوب التي نقف قادة على أبوابها لا ليوم واحد في العام، وإنما كل يوم، كل أسبوع، كل شهر.

فهذا ما يليق بالقادة الحقيقيين.

العمل الصالح
الذي يصل إلى العرش العظيم

خلق الله عبادًا من خلقه يحيون لقضاء حوائج خلقه، ما في أجسادهم سوى قلوب تستشعر هموم الناس، وأرواح تتألم لألمهم، ولا جوارح لهم إلا وهي تسعى في البر بالناس؛ حتى يكادوا أن ينسوا أنفسهم، وكما أنه من المستحيل أن تتوقف الشمس عن بث الحرارة، كذلك من المستحيل ألا يتألم ذوو الأرواح السامية من أحوال الناس المأساوية، وأن يتغاضوا النظر في المحن والمصائب، فالرحمة جوهر من الجواهر الإلهية النفيسة تشمل العالم كله، وقلب أولياء الله خزينة رحمة لا تنفد، فهم يرون أنه من الأفضل الفوز المتوقع حين يتركون العلاقات والرغبات التي تزيد من طمع النفس، ويركزون على المعاملات الحسنة التي تغذي الروح وتخلِّد الأعمال، فمِن أكثر أرباح الإنسان قيمة في هذه الدنيا مثل هذه الأعمال الصالحة، أما المكاسب الأخرى فما هي إلا أمانات مؤقتة يرجعها الإنسان واحدة تلو الأخرى.

فعن عائشة ﵂، أنهم ذبحوا شاة، فقال النبي ﷺ: «ما بقي منها؟» قالت: ما بقي منها إلا كتفها قال: «بقيت كلها غير كتفها» (الترمذي، القيامة، ٣٣)

العلاقة بين الصورة والمعنى

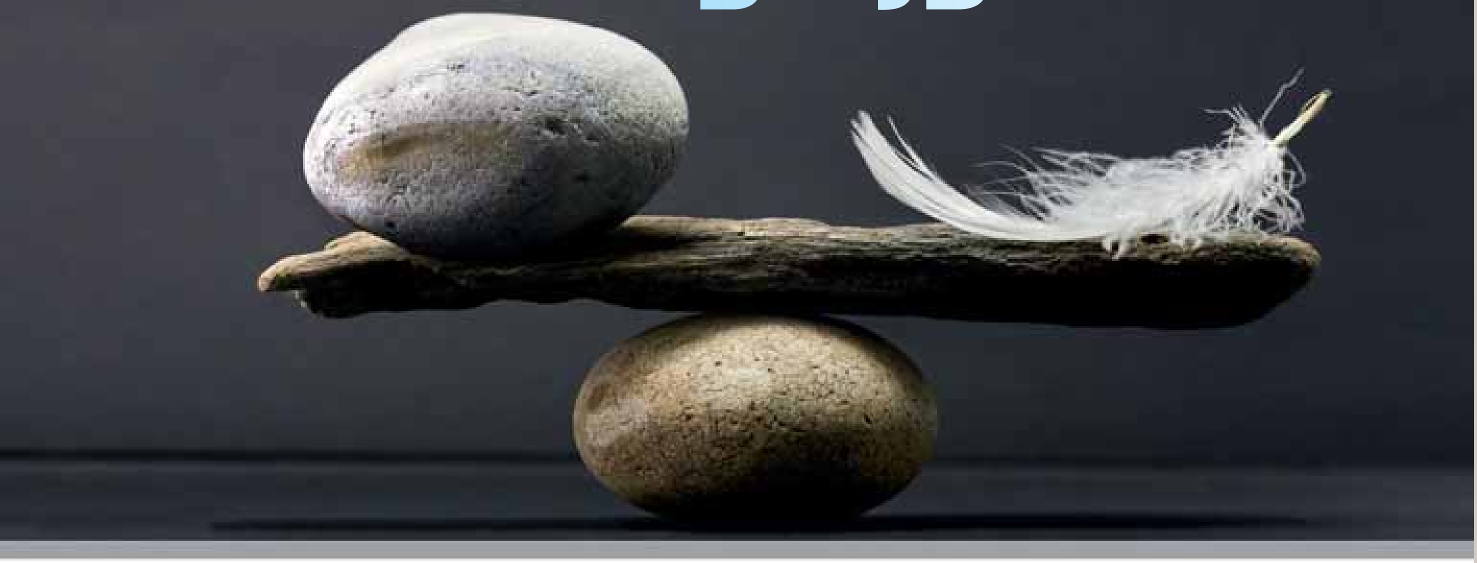

د. عرفان غوندوز

يرى الفكر التصوفي أنَّ الوجود باعتباره مؤسساً على اجتماع أو تعانق الصورة والمعنى، وأن الضحالة التي في الصورة تحجب العمق الذي في المعنى فإنه يظهر تضارب بين صورة الوجود وبين معناه، وتضاد بين مظهر الأشياء وبين حقيقتها. وهذا الأمر نسبي حيث يختلف ويتباين تصور الإنسان. فالتصورات الإنسانية لا يمكن ألبتة مقارنتها بعدسات التصوير والتقاطها للصور. إذ إن هذه التصورات لها علاقة وطيدة وقريبة بالصفات الفردية للشخص، وبوجهات نظره وبالأحكام المسبقة التي يصدرها. فصدور ردات فعل مختلفة ومتباينة من شخصين تجاه المشهد ذاته، وحتى رؤية أشياء مختلفة عند نظرهما إلى الشيء ذاته حقيقة واضحة لا يمكن تجاهلها. وهذا هو سبب مقولة: "الإنسان يرى بقلبه لا بعينيه". ويشبّه مولانا جلال الدين البحث عن الحقيقة بحالة: "الباحثين عن القبلة في الظلام، أو حالة الذين يعطون أوصاف متباينة للفيل دون أن يروه".

"كفاك أيها المتعلق بالصور ودعك منها، فلا قيمة في صورة لا روح لها. وإن كانت الصورة قيمة لدى إنسان، فهذا موجب لاعتباره جهلاً".

يا أيها الناظر إلى الصور! يا من تقف عند القشور والقوالب! إلى متى ستبقى مخدوعاً بضحالة المظهر؟ فإن رؤية الصور شيء، ورؤية المعنى شيءٌ آخر مختلف. والعارف من يرى في الصورة المعنى والجوهر، لا الشكل والقشر. فابحث عن القيم مثل الخير، والإحسان، والعلم، والاستقامة والصدق في المعنى والجوهر لا في الشكل والمظهر. وهذا ما يجعل من لا يرى اليد أثناء الكتابة يعتقد أن الحركة والمهارة صادرة من القلم. وإذا نظرت العين تراها اثنتين ولكن إذا ما نظرت إلى ما تراه فإنه واحد. وما

الفرق في رسم السمكة إن كانت بمنظر البحر أو التراب. وما الذي يتغير إن استخدمت لرسمة وجه أسود صابونة أو صبغة سوداء! وإذا رسمت على الورقة صورة إنسان مهموم فلن يكون لتلك الرسمة علاقة بالهم ولا بالسرور، فهي لا تمنح هماً ولا فرحاً وسروراً. فكل الكمالات التي نبحث عنها مخبوءة ومكنوزة في المعنى، لا في الشكل والصورة.

هل الحجرة السوداء غالية وقيِّمةٌ أم الذهب الأصفر؟

قد تعلم الببغاء الحديث ونطق الكلمات، ويكون قولها قول الإنسان ولكن جوهرها لن يكون جوهر الإنسان.

إن كلمة الصورة هنا هي عكس كلمة الحقيقة. فالنظر إلى مجرد الظاهر لدى تقييم شيءٍ، أو شخص، أو حادثة، أو فكر والاكتفاء بذلك قد يخدع الإنسان كثيراً. وإننا نجد أن هذه المسألة قد تم تناولها ومناقشتها فلسفياً تحت مسمى "الظاهر والحقيقة". ربما يتم الحكم على الأشياء من الناحية القانونية حسب الظاهر، وأما الضمير والوجدان، والعقل، والنظرة الفلسفية وحب الحقيقة فلا تكتفي بما يبدو في الظاهر، وإنما تتطلع وتتوق للوصول إلى الأبعاد الميتافيزيقية، وتحقيق مشاهدات وأبحاث أكثر عمقاً. فالذين يتعلقون بالشكل والظاهر فحسب ويكتفون بهما يبقون محرومين من المعاني الباطنية، ومن الثروات والكنوز الكامنة في الأعماق، ولا يعلمون عنها شيئاً.

يقول مولانا جلال الدين:
"قد تتشابه الصورتان وهذا وارد وجائز، فالماء المالح براق وكذلك الماء العذب.
وللتمييز بين الاثنين يحتاج الإنسان إلى عين خبيرة نافذة.
إنك أيها الإنسان لست عبارة عن جسم، ولا عبارة عن عين فحسب. وإن رأيت الروح تجاوزتَ الجسم. فانتبه لنفسك ولا تعبد الصورة، ولا تأبه لقول الصورة، ولا تبحث في الصورة عن تشكل الجنس.
فالصورة تشبه الشيء أو الحجر الخالي من الروح.
والشيء لا روح له ولا يعلم شيئاً عما هو من جنسه أو من غيره جنسه".

يبين مولانا جلال الدين أن من لا يميزون بين الظاهر والحقيقة سوف يقعون في أخطاء كبيرة، فيقول:

"قد تتشابه الصورتان وهذا وارد وجائز، فالماء المالح براق وكذلك الماء العذب. وللتمييز بين الاثنين يحتاج الإنسان إلى عين خبيرة نافذة. إنك أيها الإنسان لست عبارة عن جسم، ولا عبارة عن عين فحسب. وإن رأيت الروح تجاوزتَ الجسم. فانتبه لنفسك ولا تعبد الصورة، ولا تأبه لقول الصورة، ولا تبحث في الصورة عن تشكل الجنس. فالصورة تشبه الشيء أو الحجر الخالي من الروح. والشيء لا روح له ولا يعلم شيئاً عما هو من جنسه أو من غيره جنسه".

لقد اجتمع في الإنسان الجسد مع الروح، والعقل مع الشهوة، والشيطان مع الملاك، والروح مع النفس. وإن خصالنا وصفاتنا المعنوية تبسط أجنحتها وتريد التحليق والارتقاء بنا نحو الأعلى، وبالمقابل فإن جسدنا وأحاسيسنا الحيوانية تغرز مخالبها في قشرة الأرض، وتتمسك بها بيديها وقدميها وتحاول جرنا نحو الطين. فالإنسان يلتقي فيه العنصر السماوي والعنصر الأرضي، ويتجاذبه هذان العنصران نحو اتجاهات مختلفة. ويرى مولانا جلال الدين وشأنه في ذلك كشأن كل المفكرين الإسلاميين أن الإنسان بجانبه المادي صغير وتافه ولا قيمة له ألبتة، إلا أنه يُعد بجانبه المعنوي أفضل كائنات العالم وأكثرها قيمة، فهو مظهر "أحسن تقويم، وأشرف المخلوقات".

ما أجمل هذا التعبير:

ذُلُّ الأرواح من أشباحِها؛ وعِزُّ الأشباح من أرواحها

أي أن مصدر ذل الأرواح هو الأبدان، ومصدر عز الأبدان هو الأرواح. فهل من الصواب اعتبار الإنسان الذي هو في أدنى درجات الإنسانية مساوٍ للذي في أعلى درجاتها لمجرد التشابه في الاسم والبدن؟. إن قشرة الجوز هي الصورة، ولبها هو المعنى. وكما أن القشرة غير صالحة للأكل، فكذلك فإن الجوزة التي تعفن لبها أو لا لب لها غير صالحة للبذار.

يتحدث مولانا جلال الدين عن علاقة البدن مع الروح، وعن المقارنة بينهما من حيث القيمة، فيقول:

"البدن ينمو ويتطور بالروح، ويكبر يوماً بعد يوم؛ ولكن انظر كيف يكون حال البدن عندما تذهب الروح؟ لا يبلغ طول البدن إلا بضعة أذرع، بينما الروح تبلغ السماوات وتسيح وتجول فيها. والروح لا تلقي بالاً للحية البدن، ولا لشاربه؛ إلا أن البدن من غير الروح عبارة عن جثة هامدة، وعن شيء تافه لا قيمة له. وهذا البدن وسيلة لعمل الروح الحيوانية، فتقدم إلى الأمام وشاهد الروح الإنسانية".

إذاً إن قيمة الإنسان الأصلية نابعة من نور الروح الذي في كيانه، من النفخة الإلهية التي يحملها بين جوانحه.

لقد شبه الإنسان من الناحية البدنية بالصرة، ومن الناحية الروحية شبه بالنقود. فقيمة الصرة في الواقع هي من قيمة النقود التي تحتويها. قيمة الصرة من قيمة الذهب الذي بداخلها. فما نفع وفائدة الصرة والمحفظة إن لم يكن هناك ذهب؟ وهذا حال البدن.

فقيمة البدن نابعة من الروح. وأما قيمة الروح فنابعة من نور المحبوب المنعكس عليها. فإلى متى تتلهى وتنشغل بزخارف الإناء! تجاوزْ هذه الزخارف وانظر إلى الماء الذي بداخل الإناء. ليست كل صَدَفة تحتوي على لؤلؤة؛ أجل يا صاح! فلا تنظر إلى الصدفة، وإنما ابحث عن اللؤلؤة التي بداخلها، ولا تنخدعَنَّ بقشرها.

يقول مولانا: إنَّهم يطلقون على المولود الجديد أسماء مثل غازي، أو حاج، ولا ندري هل سيكون غازياً أو حاجاً في الحقيقة أم لا. فلا معنى لمثل هذه الأسماء إن لم يكن لهذه الصفات آثار لدى صاحبها.

ولهذا ليس من الصواب اختيار اسم من الصفات، ولا فائدة لمثل هذا الاسم، كإطلاق اسم الأبيض للون إنسان أسود البشرة لا يمنحه البياض. وأما اسمنا الحقيقي فهو ذاك الاسم الذي سوف يطلقه الله تعالى علينا بما يتناسب مع العمل الذي جلبناه معنا من سوق الدنيا إلى بيتنا في الآخرة. ولهذا يقول مولانا أيضاً: إن الله تعالى يطلق على الإنسان اسماً حسب نهايته؛ وهذا الاسم ليس كالاسم الذي أطلقه عليه الناس وتخفَّى به. إذاً؛ إن اسمنا هناك سيكون الاسم الذي نستحقه، فالثياب التي سوف نرتديها في الآخرة سوف تُخاط من القماش المنسوج من أعمالنا في الدنيا. "فلا ينخدع بالظاهر إلا الأطفال، وأما أنت فتجاوز الاسم وانظر إلى المعنى". وهذا يعني أن من كان اسمه حسناً لا يقتضي أن تكون خصاله حسنة، كما لن يكون كل إنسان إنساناً حقيقياً.

"أكلَّ امرئٍ تحسبينَ امرأً ونارٍ تَوَقَّدُ بالليلِ نارا"

إن احتجاب أو تستر العمق الذي في المعنى خلف الصور حكمة ومبدأ إلهي لامتحان الإنسان واختباره.

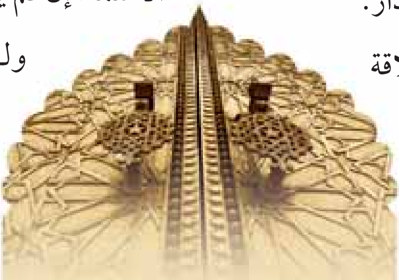

إن القدرة على فهم الإنسان وإدراكه لحكمة وجوده في هذا العالم، وعدم انخداعه بشأن تنفيذ واجب عبوديته بحق علاقة وطيدة وقريبة بإدراكه لهذا السر المخفي والمحجوب وراء الأشياء.

فكما أن الفاكهة الحلوة واللذيذة محجوبة ومخفية بين الأوراق والأغصان، كذلك فإن الخلود والحياة الأبدية مخفية داخل الموت. وكما أن الكنوز مخفية في الخرابات والمباني المهدمة، كذلك فإن عالم الروح غير المرئي مخفي في البدن.

يرى مولانا جلال الدين أن سبب هذه الثنائية في الأشياء نابع عن الاختلاف بين صورة الأشياء التي تبدو لنا، وبين حقيقتها الموجودة في علم الله ﷻ. فاسم كل شيء يكون بالنسبة لنا حسب ظاهره، وأما عند الله تعالى فيكون حسب باطنه وسره. فاسم عمر ﵁ كان قبل الهداية وثنياً، بينما كان في عالم الأرواح وعند الحق سبحانه وتعالى من المؤمنين.

إن القدرة على فهم الإنسان وإدراكه لحكمة وجوده في هذا العالم، وعدم انخداعه عن تنفيذ واجب عبوديته بحق لها علاقة وطيدة وقريبة بإدراكه لهذا السر المخفي والمحجوب وراء الأشياء. يقدم لنا مولانا جلال الدين حالة إبليس الملعون الذي نظر إلى صورة آدم ﵇، وأجرى مقارنة عقلية ظاهرية بينه وبين آدم، وظنَّ أن آدم أقل قيمة وشأناً منه يقدم ذلك مثالاً على خداع الصورة. ويقدم حالة الملائكة الذين شاهدوا النبوة والخلافة المخفية في المعنى لدى آدم ﵇ وخروا له ساجدين مثالاً على الكائنات التي وقفت على المعنى.

إن من شأن الفرق أو الاختلاف الذي يبدو بين صورة الأشياء وبين حقيقتها في هذا العالم أن تنتج عنه رؤى وتفسيرات متباينة حسب ظنون واعتقادات كل شخص وتجاربه وتراكم معلوماته. ويُعد اختلاف بواطن الأشياء عن ظاهرها أحد مقتضيات الحكمة الإلهية. فلو أن الأشياء كانت كما تبدو في الظاهر لما كان هناك حديث عن الامتحان والتميّز.

ملحمة الفتح على لسان الفاتح

تحرك التراب، وخشخشت الأوراق؛ حان وقت العمل! فحرام علينا التوقف!
استيقظ الغافلون، وتحرَّك السفلة. بالغوا في التدلل، وطالت الألسن!
فلتُطهر الأوساخ، وتنار الأفكار. ولتجلجل أصوات التكبيرات في السماء!
لقد أعطى الشيخ آق شمس الدين السر، ونصح بالجهاد. ووضع المولى أمامنا الإمكانات.
فلترتفع الأصوات بالتضرع والدعاء. إنه لجهاد يحمل بشارة! والله إن الجهاد لمقدس!
لقد أعطينا إشارة الفتح. فشكرت المولى وخضت الطريق بجوادي نحو البحر!
أمرت بصب مدافع خاصة، وطلبت جرها بالعربات. وأمرت بدك الأسوار نحن نقول " باسم الله"!
أمرت بوضع المخططات، ورصف ألواح الخشب، فسرت بقافلة من السفن عبر طريق البر!
رفع حسن الأولوباطلي الراية فوق السور، فكان صاحب المفاجأة السريعة حسن ذو الحظ السعيد!
فاستغللت الفرصة، وحفظت الصنعة، وحميت المجتمع، وأسقطت الملك!
أمرت بنصب الخيمة، وغرس اللواء، فأخذت اسطنبول وأنهيت العصور الوسطى!
تحقق الحلم، ووقف العالم مدهوشاً حيراناً، فليعلم الجميع أن آيا صوفيا لنا من الآن فصاعداً!
إنه وقف، ومسجد لشعبي، والله شاهد على عهدي والملائكة جميعاً!
فلا حلَّ الربيع على من خان الوصية، وخطّ حكماً مخالفاً، وجعل الله عليه الدنيا خريفاً دائماً!
فليبتلى بالعلل والأسقام، وليسقط في الذل والهوان، ولتحل عليه أعظم اللعنات في الدارين معاً!

مراد أصلان

رؤية العالم بقلبٍ صافٍ

إن الإنسان الذي ارتقى بقلبه ليصل به إلى مرتبة «القلب السليم» عبر المجاهدات البشرية والتربية الصوفية والألطاف الإلهية، ووصل إلى حالة الطهر والصفاء والربانية، هو إنسانٌ في صورته، لكنه كالملائكة في مقامه وسيرته.

وبعض مَنْ وصل إلى هذه الدرجة هم كالنجوم التي تحتل موقعًا بين ملايين النجوم في هذا الفضاء، يعيشون في خفاء بالنسبة إلى العالم الخارجي، ويحيون في عالمهم الخاص، ولا يُعرفون أبدًا.

وبعضهم الآخر قد يعيش ظاهرًا في دنيا الناس وعالمهم، إذ يؤدي مهامَّ ووظائف اجتماعية موكولة إليه، وهؤلاء ممَنْ حظوا بالخلود والحياة بعد الموت؛ إذ يصيرون في حياتهم قادة وقدوة، وبعد وفاتهم نبراسًا وأسوة، وطوال تاريخ البشرية مشاعل هداية؛ لا بل يستمرون في وظائفهم البشرية حتى بعد انتقالهم إلى دار القرار.

ويدركون السبب النهائي في سلسلة الأسباب الموجودة وراء الحوادث، أي إنهم يدركون الإرادة الإلهية، ولهذا يعيشون وهم محيطون بالحكمة ومُظللون بالطمأنينة والسكينة، ويُمسون مصونين عن كثير من حالات الضَعف البشري مثل الاضطراب والقلق.

فبالنسبة إليهم لا شيء اسمه «عبث»، إذ إنهم يبدؤون مرحلة الترقي المعنوي بعبارة «اصفح عن المخلوق من أجل الخالق»، وينظرون إلى العالم بأحاسيس مليئة بالعِبرة والمحبة والدهشة، ومدركين الحكمة من وراء الأحداث.

فنظرتهم إلى الكون هي نظرة قلبٍ مفعم بالجمال، يسهل عليه رؤية الجمال وإدراكه في كل شيء حتى في الصحراء الجرداء، فيرى تموجات رمالها وصفير رياحها لوحة سمعية بصرية بديعة، رغم ما تثيره لدى الناس من ذعر؛ حتى غروب الشمس وإقبال الليل وحِزَم الضوء التي تتسرب أشعتها عبر غيوم السماء التي قد توحي للبعض بخوفٍ من يوم شاتٍ ممطر ذي رعد وبرق، بينما هو يوحي لهم بمشهد لوحة إعجازية سماوية ترسمها القدرة الإلهية.

حتى الحيوانات والهوام المتوحشة لا ينظرون إلى وحشيتها وأظلافها ومخالبها وسمومها نظرة الإنسان الخائف من عداوتها؛ بل نظرة الفنان المفتون بألوانها وحركاتها وعجائب أشكالها وقدراتها، وما منحها الله تعالى من خصوصيات.

د. سليمان درن

التحلي بسعة الصدر

تُعد سعة الصدر وسلامة القلب مقارنةً بين الحاضر والماضي من أهم الخصال التي افتقدناها اليوم. إذ إن القرار الرباني يقضي أن القلوب لا تجد راحتها ولا تبلغ الاطمئنان إلا بذكر الله تعالى. وكلما ابتعدنا عن هذه الحالة من الذكر افتقدنا الاطمئنان، وإذا افتقدنا الاطمئنان حلَّ مكانه أشكال شتى من الهواجس والتوترات والأزمات الداخلية، والمشاعر السلبية. وقد بيّن كبار المتصوفة من أهل الله مقامات مختلفة تنتج عن العبودية الحقيقية للرب سبحانه وتعالى، ومنهم الإمام الغزالي رحمه الله، حيث يرى الغزالي أن أعلى هذه المقامات هو مقام الرضا. وهو الرضا بكل أفعال الله تعالى، وعدم السخط من جفاء العباد وأذاهم.

إن سر نجاح أهل التصوف في انشراح صدورهم وسعتها يكمن في انشغالهم الدائم بذكر الله تعالى. فاهتمام السالك الذي يمتلئ قلبه بالذكر يتحول من العباد إلى ربه سبحانه وتعالى. وأما من لا يكون هذا حاله فيصب كل اهتمامه وانتباهه على ما يفعله العباد تجاهه.

أي أنه حسب تعبير مولانا يشتبك مع القضاء والقدر:

"أيها الإنسان الساخط لا تشتبك مع القضاء والقدر، حتى لا يشتبك هو الآخر معك، ويصارعك".

"يجب أن يكون الإنسان كالميت أمام حكم الله تعالى وتقديره، حتى لا يتخطفه من الله رب الصباح حزن وكدر".

لا بد لتحقيق السعادة وخاصة داخل أجواء العائلة من جلاء قلوب وصدور الأزواج وتطهيرها بالذكر. فإذا لم ينل الأزواج حظاً من الذكر والتربية المعنوية فإنهم سوف يلحقون الضرر والأذى بأنفسهم، أو بأفراد العائلة الآخرين. ويبين مولانا هذه الحال فيقول:

"ثم إن الجهال يغلبون النساء، ذلك لأنهم شديدو الحدة ويسيرون على العشواء.

وقليلاً ما يكون عندهم لطف ورقة، أو وداد، لأن الحيوانية غالبة على أصولهم.

فالحنان والرقة من صفة الإنسان، والغضب والشهوة من صفات الحيوان". (المكتوبات، جـ ٢، ٧٨٣- ٧٨٥)

ويتحدث الإمام الغزالي عن الغضب والشهوة في سياق الإنسان والملائكة، والحيوانات فيقول:

إنَّ الملائكة مخلوقون من النور فلذلك يطيعون الله تعالى ولا يعصونه، وصدورهم رحبة لا تعرف البغضاء والحقد. وأما الحيوانات فإنها مخلوقة لإشباع غريزتها وشهواتها، لذا فإن غايتها نيل ما فيه المتعة واللذة.

وأما الإنسان فله طبيعة ملائكية وطبيعة حيوانية، فإن اتبع شهوته اقترب من الحيوانات، وإن خالف شهوته واتبع عقله اقترب من الملائكة. ولهذا فعليه الابتعاد عن الشهوة والغضب، ووعليه الانقياد لأوامر الله تعالى لتحصل له طمأنينة القلب وراحة البال. وبعبارة أخرى يجب على الإنسان التحكم بشهوته، وغضبه ليكون إنساناً حقيقيًّا.

فالحيوانات لا تتحكم بغضبها وشهوتها، لذا فإنها بمقتضى غريزتها تهاجم كل ما تراه خطراً عليها أو مخالفاً لها. وأما الإنسان فإنه يستعمل شهوته وغضبه عند الحاجة والاقتضاء، وليس هو أسيراً لهما. فلا يلجأ للانتقام لنفسه في المسائل الشخصية. وأجمل مثال لأهل التصوف في هذا الموضوع هو الحكاية الواردة في المثنوي عن الإمام علي ﷺ والرجل الكافر الذي بصق في وجهه؛ حيث كظم الإمام علي غيظه، وعفا عن الرجل ولم يضرب عنقه لئلا يكون الأمر انتقاماً وانتصاراً للنفس. فيقول في ذلك أمير المؤمنين علي ﷺ:

"إن الغضب ملك على الملوك، لكنه غلام لي، ولقد قيدت زمام الغضب.وسيف حلمي قطع عنق غضبي، وغضب الخلق نزل علي كأنه الرحمة.وعندما دخل حظ النفس في القتال رأيت من الأولى إغماد السيف".

يقول أمير المؤمنين

علي كرم الله وجهه:

"إن الغضب ملك على الملوك، لكنه غلام لي، ولقد قيدت زمام الغضب.

وسيف حلمي قطع عنق غضبي، وغضب الخلق نزل علي كأنه الرحمة.

وعندما دخل حظ النفس في القتال رأيت من الأولى إغماد السيف".

يرى أهل التصوف أن أهم أسباب ضيق الصدر هو صرف الإنسان تفكيره إلى نفسه ورغباتها مهملاً عوالم قلبه وروحه، حيث يتوجه إلى حياة تعج بالمتع والشهوات والملذات. وعندما تعتاد النفس على تنفيذ كل ما تطلبه، وتلبية كل ما ترغب فيه وتشتهيه فإنَّها تشعر بالملل ولا تجد السعادة، على عكس ما تتوقع، حيث تزداد نار شهواتها اشتعالاً كما تزداد النار اشتعالاً عندما يلقى فوقها الحطب، وإن دخان هذه النار يخيم على الصدر ويسبب له الضيق. لذا يجب التخفيف من ذلك الدخان المخيم على القلب بالعمل على إطفاء النيران، والتوقف عن رمي المزيد من الحطب فيها. وإن النفس عندما تتم تلبية كافة رغبات وطلباتها فإنها تجنح نحو ادعاء الربوبية. فتغضب على من يظهر لها المحبة ولا يكيل لها المديح والثناء، وعندما ترى وجودها وذاتها فوق كل شيءٍ وأفضل من كلِّ شيءٍ فإنها تصل إلى مرحلة لا تقبل فيها أي نقد أو توجيه. ولهذا فإن أهل التصوف يرون أنه من الضروري قتل النفس، أي السيطرة عليها والإحاطة بها وعدم إرخاء الحبل لها.

"ونفسك هي تلك الأفعى الدنسة، التي نشرت سمومها في كل ناحية.

فهيا اقتلها، فمن أجل هذه الدنية تهمُّ في كل لحظة بقتل عزيز.

ومنها ضاقت عليك هذه الدنيا الرحبة، ومن أجلها أنت في حرب مع الحق والخلق.

وإن قتلت النفس، فقد نجوت أيضاً من الاعتذار، ولا يبقى عدوٌّ لك في الديار". (المكتوبات، جـ ٢، ٧٨٣- ٧٨٥)

وحسب ما يرى أرباب التصوف فإن لقتل النفس بُعدين، هما: بُعد المعرفة، وبُعد العمل. فأما المعرفة فهي إدراك أن "الأنا" التي تثير غضبنا، وتهيج المشاعر والأحاسيس السلبية في دواخلنا ليست ذاتنا الحقيقية، وإنما هي كائن يبدو لنا في الظاهر صديقاً وصاحباً ناصحاً، إلا أنه في الحقيقة يوردنا المهالك.

والصوفي ما إن يعلم أن النفس إنما هي عدو حقيقي فإنه لن يصغي السمع إلى وساوسها مرة أخرى. بيد أن هناك الكثير من المسلمين اليوم يتوهمون أن النفس الأمارة الكامنة بين جوانحهم إنما هي ذواتهم الحقيقية، ومن ثم فإنهم يسارعون إلى تنفيذ أوامرها المنطوية على السوء والشر وهم مسرورون.

كما أن أهل التصوف يسعون لإطفاء وإخماد نار النفس المتقدة في قلوبهم من خلال نور الذكر. فنور الأوراد والأذكار التي تُؤخذ عن لسان المرشد تُخمد كل ما في القلب من مشاعر السوء وأحاسيس الشر، وبها يمتلكون زمام الغضب، ويطفئون لهيب ناره. وهم في هذه المسألة يسترشدون بالحديث النبوي الآتي:

لما يجتاز أهل الذكر والمحبة الصراط يوم القيامة تناديهم جهنم قائلة:

"**جُز يا مؤمن! فقد أطفأ نورك لهبي**" (الجامع الصغير)

إن قلب الصوفي وصدره لا يزال يتوسع بالذكر، والفكر، والمراقبة والتأمل إلى أن يصل إلى درجة لا يبالي بالإساءات التي تنهال عليه وتناله من قبل الناس حوله، ولا يردُّ عليها. فمرآة قلبه لا يتعكر صفوها ونقاؤها بأفعال العباد. ويشير يونس امره إلى صعوبة بلوغ وتحصيل هذه المرتبة ويخاطب المتصوفين المبتدئين الذين لم يصلوا بعد إلى طمأنينة القلب قائلاً:

"إنك لن تصبح درويشاً؛ فالدرويش يجب أن يكون بلا يد أمام الضارب، وبلا لسان أمام المسيء، يجب أن يكون الدرويش ذا قلب لا يتكدر".

إن سعة الصدر لا تقتصر على تهذيب الإنسان ولطافته الشخصية كما يظنها بعضنا. وإنما هي أكبر من ذلك فهذه المسألة كما يعبر عنها الإمام الرباني تكراراً ومراراً في "مكتوباته" تتعلق بآخرة الإنسان أيضاً. وإن الأحاديث التي يذكرها في المكتوب الثامن والتسعين تحمل أهمية وخطراً بالغاً حيث يفهم من إشارتها أنَّ قساة القلوب لا يدخلون الجنة:

"**حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس**" (أحمد، مسند، رقم: ٣٩٣٨)

"**المؤمنون هيّنون ليّنون مثل الجمل الأنوف الذي إن قيد انقاد، وإن أنخته على صخرة استناخ**" (الديلمي، الفردوس، رقم: ٦٥٨٣)

والنتيجة؛ أن الذكر، والفكر، والمراقبة والتأمل الذي يقوم به الإنسان لله تعالى من شأنه أن ينقي ويطهر العناصر الرئيسية الأربعة التي يتشكل منها الإنسان وهي الهواء، والماء، والتراب، والنار. فيظهر من ذلك إنسان طاهر القلب واسع الصدر، راض بقضاء الله واختياره، يقابل إساءة المسيء بالإحسان وأذاه بالعفو والغفران.

نسأل المولى عز وجل أن يضمنا إلى هذا الصنف من عباده، ويكرمنا بسعة القلب. آمين.

من دروس
الشيخ محمود سامي رمضان أوغلو

طريق الحق أدق من الدقة

يقول الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦) أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٧) وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٧٥- ٨٢)

حذر النبي عليه الصلاة والسلام بشدة مما ستتعرض له الأمة في آخر الزمان فقال:

"ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى إن كان منهم من أتى أمه علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة»، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي" (الترمذي، ٢٦٤١)

كم في الناس من يُظن أنهم من الأولياء وأرباب القلوب، ويُنظر إليهم على أنهم من أهل التصوف وهم في الأصل ليسوا من أهل الصدق في توجههم إلى الحق سبحانه وتعالى. حيث أن قلوبهم ميالة إلى أهل الغفلة، وأنفسهم تهوى وتهفو إلى شنيع أفعالهم. وإنهم إذا ما دعوا إلى ما تهوى إليه أنفسهم ويشبع شهواتهم ورغباتهم سارعوا إلى الإجابة، وإذا ما دعوا إلى الحق استجابوا كرهاً وخشية أن يوصموا بالكفر والفسوق. فمثل هؤلاء ليس لديهم صدق وإخلاص على طريق الحق. إنهم يكتبون بأيديهم ما تمليه عليهم أهواؤهم بغض النظر عن جهلهم، ثم يقولون أنه الحق. فهؤلاء ضلوا عن الهداية وأضلوا كثيراً غيرهم.

على السائر في طريق الحق الائتمار بكل ما يأمره به الحق والتمسك في سبيل الوصول إلى الله تعالى، وعدم الانخداع بظاهر الأحوال، وعدم الانجرار خلف مكائد النفس، وأقوال الجاهلين، والتحلي بالحذر واليقظة والبصيرة في كل تقلباته. إن طريق الحق أدق من الدقة وأقوم من المستقيم. وإن أجهل الناس من يضيع وقته سدى ولا يعمل على إصلاح خصال نفسه رغم علمه بها ورؤيته لها، ولا يسعى للوصول إلى الحق سبحانه وتعالى.

(محمود سامي رمضان أوغلو، تفسير سورة البقرة، ص، ١٦٥- ١٦٧)

من دروس
الشيخ موسى طوبّاش

العشق الحقيقي

إن الدنيا تتحول في الواقع إلى جنة حقيقية في عيون المحبين الحقيقيين، إذ أن قلوبهم تمتلئ بمحبة الله تعالى بحيث لا ترى ولا تعتبر أي شيءٍ مهما صغر عبثاً. إنهم لا يزالون يحبون، ويحبون، ثم يزيدون فوق الحب حباً حتى لا يجدون الطمأنينة والسكينة إلا في ذكر كلمة الحب. وإذا بلغت المحبة ذروة كمالها فإنهم حينها لا يحبون إلا ما يحبه الله. فلا يحبون من يبغضهم الله عز وجل من المشركين وأعداء الدين، وإنما يبغضونهم لبغض الله تعالى لهم ويتخذونهم أعداءً.

قيل أن المحبة الحقيقية تثبت بثلاثة أمور:

١. تفضيل المحب كلام المحبوب على كلام غيره.

٢. تفضيل المحب صحبة المحبوب على صحبة غيره.

٣. تفضيل المحب إرضاء المحبوب على إرضاء غيره.

وسئل أحد العلماء:

من العاشق وما حاله؟ فقال: قليل معاشرة الخلق، كثير الاختلاء بربه. كثير الصمت، دائم التفكير. إذا نظر لا يرى، وإذا نودي لا يسمع، وإذا كلم لا يفهم. لا يحزن إذا أصابته مصيبة، ولا يبالي إذا جاع. رث الهيئة. لا يخشى أحداً غير الله. يناجي ربه في الخلوات والأسحار، ولا ينازع أهل الدنيا في دنياهم.

من ادعى ثلاثة دون ثلاثة فهو ضال ومخدوع:

١. من ادعى تلذذه باتباع ما شرعه الله، ولم يدع حب الدنيا.

٢. من ادعى أن أعماله إنما لمحبة الله، واستحسن تعظيم الناس له.

٣. من ادعى محبة الله، وغفل عن تزكية وتربية نفسه.

ويقول الشيخ عبد القادر الجيلاني عن الحب:

- الزاهدون يأكلون في الجنة، والعارفون يأكلون عنده وهم في الدنيا. والمحِبون لا يأكلون في الدنيا ولا في الآخرة.

طعامهم وشرابهم أُنسهم وقربُهم من ربهم عز وجل ونظرهم إليه.

باعوا الدنيا بالآخرة، ثم باعوا الآخرة بربهم عز وجل رب الدنيا والآخرة. الصادقون في محبته باعوا الدنيا والآخرة بوجهه، وأرادوه دون غيره. فلما تمَّ البيع والشراء غلب الكرم فرد عليهم الدنيا والآخرة موهبةً، وأمرهم بتناولهما.

فأخذوهما بمجرد الأمر، مع الشِّبع، بل مع التخمة والغنى عنهما. فعلوا ذلك موافقة للقدر، وحسن أدب مع القَدر. قبلوا وأخذوا وهم يقولون:

وإنك لتعلم ما نريد. تعلم أن قد رضينا بك دون غيرك. ورضينا بالجوع والعطش والعُرْي والذل والمهانة، وأن نكون على بابك مطروحين.

لما رضوا بذلك، وقرّروا مع نفوسهم الطمأنينة عليه نظر إليهم نظرَ الرحمة، فأعزّهم بعد ذلهم، وأغناهم بعد فقرهم، ومنحهم وقرَّبهم منه دنيا وآخرة.

هؤلاء قلة القلة. هؤلاء المرشدون الكاملون الذين وصلوا ذروة الكمال.

(صادق دانا، مصاحبات آلتون أولوك- ٢، ص، ١٦٤- ١٦٨)

عثمان نوري طوباش

مِن حِكَم أولياء الله

جعفر الصادق رحمه الله – ٤ –

يقول جعفر الصادق رحمه الله: "من استبطأ رزقه فليكثر من الاستغفار".

جاء أربعة رجال إلى أحد أصحاب الحق الحسن البصري شاكِين إليه مشكلتهم، وطالبين النصح والإرشاد، فأما الأول كان يشكو من الجفاف، وأما الثاني فكان يشكو من الفقر، والثالث كان يشكو من نقص محصول أرضه، وأما الرابع فان يشكو من العقم.[١] نظر ولي الله إليهم وأوصاهم جميعاً بالاستغفار إلى الله تعالى.

فقال له الحاضرون لمجلسه:

– يا سيدي، إن مشاكل هؤلاء ومعاناتهم مختلفة عن بعضها، وإنك أوصيتهم بالوصفة ذاتها للجميع!.(ابن حجر، فتح الباري، ١١، ٩٨)

فأجابهم الحسن البصري بالآية الكريمة الآتية:

﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا. يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا. وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (نوح: ١٠–١٢)

إذاً فإن الله سبحانه وتعالى ينجي عباده من كثير من المصاعب والمحن بالتوبة والاستغفار، ويحيطهم بلطفه وكرمه. ولذلك فإن ما يجلب رحمة الله تعالى ويدفع غضبه ومقته هو توجه العبد إليه بقلب مخلص منكسر وطلب المغفرة والعفو عن معاصيه وأخطائه التي اقترفها، والتجاوز عن تقصيره.

١. لا بد أن نوضح هنا أنه أحياناً على الرغم من أخذ الإنسان بالأسباب، والتوجه إلى الله تعالى بالدعاء والتوكل عليه في الأمور، رغم ذلك قد لا ينال الإنسان مراده. فمثلاً بعض الأزواج لا يُرزقون بالأولاد بالرغم من حاجتهم وطلبهم الملح لذلك. وفي هذا حكمة كبيرة لله تعالى. لأنه لا يعلم الغيب إلا الله ﷻ، وهو أعلم بما هو خير أو شر لنا. ولا أن ما قدره لنا من أمر خير مما نرغبه لأنفسنا. ومن جهة أخرى فإن حرمان الله تعالى لأحد عباده من نعمة لا يعني على الإطلاق عدم محبته لذلك العبد. حيث أن زوجة النبي ﷺ وأم المؤمنين سيدتنا عائشة رضي الله عنها لم تُرزق بولد. وإن حرمان الله تعالى لأحد عباده من نعمة ما يكون سبباً برفع درجته عند ربه ونيل مكافأة مجزية في الحياة الآخرة إذا ما تجمل بالصبر على هذا الحرمان، وأظهر الرضا بتقيد الله فيكون ذلك خيراً له من تلك النعمة التي حُرم منها. وبناء على ذلك ينبغي لنا التسليم بما قدره الله تعالى لنا بالرضا به، والصبر والشكر والحمد له في كل الأحوال.

وهكذا فإن الله تعالى يقول في آية أخرى:

﴿وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الأنفال: ٣٣)

يقول جعفر الصادق رحمه الله:

"الغضب مفتاح كل شر". (الغزالي، الإحياء، ٣، ١٦٦)

فعلى المؤمن أن يكون مفتاحاً للخير، ومغلاقاً للشر. وإذا ما اعتبرنا الغضب مثل سكين ذو حدين، فإن الغضب الذي ينبع من الناحية الإيمانية يكون مفتاحاً للخير، وأما الغضب النابع من الناحية النفسية فإنه مفتاح للشر، لأن الغضب النفسي يُذهب العقل ويتحوّل إلى حالة من الجنون وفي الغالب عاقبته وخيمة، أما المؤمن إذا غضب فإن غضبه يكون من أجل رضا الله تعالى، فيغضب على أعداء المسلمين، وعلى ارتكاب المعاصي وانتهاك حرمات الله، ويجاهد نفسه دائماً على لجم الغضب الذي يكون استجابة لرعونات النفس.

وإن في حادثة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه مع ذلك الرجل المشرك في المعركة خير برهان على ما ذكرناه في الأعلى، فعندما تمكن علي كرم الله وجهه من الرجل وهمّ بقتله والإجهاز عليه بصق الرجل في وجه علي من شدة الخوف والحنق، فأمسك علي رضي الله عنه عن قتله وتراجع إلى الوراء، دُهش الرجل الذي لم يذق طعم الإيمان وحلاوته وما يفعله بالمرء، ولم يتمكّن عقله من إدراك السر العجيب لسلوك علي رضي الله عنه، فنسي الموت والقتل، وسأل علياً في حيرة:

- يا علي! لم توقفت بينما كنت على وشك قتلي؟ وما الذي حدث حتى تحوّلت من أقصى درجات الشدة والقسوة، إلى منتهى الهدوء والسكون العصي على الفهم؟ فبينما كنت مثل صاعقة مرتعدة وفي لحظة واحدة هدأت مثل سكون الريح، فما السر والحكمة وراء ذلك؟ لقد أصبحت حالتك لغزاً بالنسبة لي.

فأجابه علي كرم الله وجهه:

- إني أجاهد في سبيل الله، وإني أضرب رقاب الأعداء من أجل مرضاة الله تعالى، ولا أشرك ولا أنتصر لنفسي في ذلك بشيء، وعندما بصقت في وجهي حقرتني وأثرت غضبي فأردت بذلك تحريك نفسي. ولو أني قتلتك في لحظات الثورة والغضب تلك لكنت منتصراً بذلك لنفسي، وإني لا أغزو وأجاهد لإرضاء غروري، وإنما أنشد من جهادي رضا الله تعالى.

وإن الله عز وجل يصف عباده المتقين، ويذكر الثواب الذي ينتظرهم يوم القيامة في الآية الكريمة الآتية:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ. الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣-١٣٤)

وإن خير تطبيق لهذه الآية الكريمة على أرض الواقع يتمثل في الحادثة التالية:

لقد كان لجعفر الصادق رحمه الله عبد يخدمه، وفي أحد الأيام بينما كان يصبّ العبد الماء لسيده

جعفر وهو يغسل يديه انسكب الماء على ثيابه دون إرادة من العبد، فنظر جعفر رحمه الله إلى العبد وعلامات الغضب بادية عليه، فقال العبد: يا سيدي، إن الله تعالى يعد ﴿**الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**﴾ (آل عمران: ١٣٤) بالمغفرة والجنة. قال جعفر الصادق: إن كان كذلك فقد كظمت غيظي. وتابع العبد قراءة الآية: ﴿**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**﴾ (آل عمران: ١٣٤).فقال جعفر الصادق: لقد عفوت عنك. فتابع العبد من جديد قراءة الآية: ﴿**وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (آل عمران: ١٣٤). فقال له جعفر الصادق: اذهب فإني أعتقك لوجه الله تعالى! وإليك ألف دينار تستعين به على حاجاتك!.

وهكذا فإنَّ لجم الغضب وكظم الغيظ إرضاء لله تعالى تجاه من أخطأ بحق المرء وقصّر بحقه من الفضائل الكبرى.

حيث يقول النبي ﷺ في الحديث الشريف:

"**ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**" (البخاري، الأدب، ٧٦؛ مسلم، البر، ١٠٧، ١٠٨)

وفي حديث آخر يبين النبي ﷺ أن الغضب انتصاراً للنفس سبيل للتهلكة والخسران إذ يقول:

"**إن الغضب جمرة في قلب بن آدم تتوقد ألم تروا إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه فإذا وجد أحدكم ذلك فليجلس أو قال فليلصق بالأرض**" (الترمذي، الفتن، ٢٦/ ٢١٩١؛ ابن ماجه، الفتن، ١٨)

وفي حديث آخر يقول النبي ﷺ:

"**إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فان ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع**" (أبو داود: الأدب، ٣/ ٤٧٨٢؛ مسند أحمد: ٥، ١٥٢)

يقول أبو وائل:

ذهبنا يوماً إلى عروة بن محمد، وكان في مجلسه رجل يتكلم بكلام أغضب عروة، قام عروة من مجلسه إلى الخارج فتوضأ ثم رجع إلينا، وروى لنا عن النبي ﷺ الحديث الآتي:

"**إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ**" (أبو داود: الأدب، ٣/ ٤٧٨٤؛ مسند أحمد: ٤، ٢٢٦)

وينبغي أن نشير في هذا المجال أنه بقدر ما يشكّل الغضب من خطر على الإنسان ويورده المهالك، فإنه في نفس الوقت يكون الغضب على درجة كبيرة من الأهمية إن كان في سبيل رضا الله تعالى، حيث أن النبي ﷺ لم يكن يغضب من أحد إرضاء لنفسه، ولم يجادل أحداً انتصاراً لذاته، وإنما كان يغضب لغيره وينتصر لحقوق العامة فيصرّ على الدفاع عن الحقوق حتى تنتفخ أوداجه ويتقطب جبينه، كل ذلك لإظهار الحق وإعادته إلى أصحابه، حتى إذا عاد الحق وتحققت العدالة يعود عليه الصلاة والسلام إلى هدوئه وسكينته.

يقول جعفر الصادق رحمه الله:

"لا تحزن لكلام لم يعجبك قاله أخوك المؤمن بحقك! فإن كان فيك ما قاله، يكون قوله كفارة لذنبك يوم القيامة. أي يكون ذلك القول جزاءً لك على ذنبك بينما أنت في هذه الحياة الدنيا، وإن لم يكن فيك ما قاله بحقك، فإن ذلك يكسبك حسنة من غير أن تقوم بعمل" . (أبو نعيم، الحلية، ٣، ١٩٨)

إنّ هذه الوصية التي يقدمها لنا جعفر الصادق، هي خير وأجمل مواساة للمؤمنين وبالأخص للذين

يُتهمون ظلماً وبهتاناً بأمور وذنوب لم يقترفوها. فينبغي تذكر هذه النصيحة في مرة يتعرض المرء فيها لاتهام أو افتراء ليهدأ القلب ويشعر بالسلام والطمأنينة.

وإن من الحقائق البديهية أن المؤمن مهما بلغ من الورع والتقوى، فإنه يبقى معرضاً لأقاويل الناس واتهاماتهم له بالباطل. وليس بإمكان أحد تجاوز هذا الأمر أو تفاديه، فالجميع معرضون للافتراء بحقهم.

على الرغم من أن نبينا محمداً ﷺ كان مثالاً ونموذجاً للبشرية الذي تجلّت فيه قدرة الله تعالى وبديع صنعه، لم يسلم من النقد والتجريح بأقسى الكلمات والافتراءات من أبي جهل والذين من طينته من الناس الغافلين الذين لا يخلو عصر من أمثالهم، وهذا خير دليل وشاهد واضح على عدم نجاة أي إنسان من الاتهامات والافتراءات الباطلة.

وكما روي عن جعفر الصادق رحمه الله تعالى، فإن سيدنا موسى عليه السلام ذات يوم وخلال مناجاته، تضرع إلى الله تعالى قائلاً:

- "يا رب! أريد أن يذكرني الناس بخير"

فرد الله ﷻ عليه:

- يا موسى! إني لم أجعل هذا الأمر حتى لنفسي. (عبد المجيد هاني: الحدائق الوردية، ص ١٦١- ١٦٢، رهبر للنشر، إسطنبول ١٩٨٦)

ومعنى الكلام، فإن العبد مهما بلغ من درجات التقى والورع فلن يترك هو وشأنه، ولا بد أن يخرج من بين الناس من ينتقده، ويشتمه، ويرفض أعماله، ويقع في غيبته.

كان جعفر الصادق (رحمه الله) رجلًا متواضعًا لا يستحقر أحدًا، ويرى كل مؤمن خيرًا منه. ونُقِل أنه كان جالسًا مع أصحابه ومواليه، فقال: تعالوا حتى نتبايع ونتعاهد على أن من يكون منَّا ناجيًا يوم القيامة يشفع للباقين. فقالوا: يا بن رسول الله، كيف تكون لك حاجة إلى شفاعتنا، وجدُّك شفيعٌ لجميع الأنام؟! فقال (رحمه الله): إني لأستحيي من جدي أن أنظرَ إليه يوم القيامة مع هذه الأعمال.

وإن من إحدى صفات المؤمنين وأوصافهم الرفيعة الإعراض عن الناس الذين ينالون منهم بسيء الكلام، ولا يبالون بالتجريح والنقد الذي يتعرضون له من الناس. وذلك لأن هذه الاتهامات بحقهم إن كانت تحمل شيئاً من الصحة فتعتبر من "الغيبة"، وأما إن كانت مجرد اتهامات لا أصل لها من الصحة فهي "افتراء وبهتان". وفي الحالتين، فإن المؤمن الذي يتعرّض لمثل هذه الأقاويل والاتهامات إما أنها تعتبر وسيلة لمحو ذنوبه، أو وسيلة لرفع درجته عند الخالق ﷻ.

وإن الإنسان الذي اتخذ من الغيبة والافتراء على الناس عادة له يزين بها مجالسه، يأتي يوم القيامة الممتلئ بالأهوال والمخاطر، يوم يكون بأمسّ الحاجة إلى ثواب أعماله الصالحة، فيجد نفسه مضطراً لأن يعيد حسنات أعماله إلى الذين وقع في غيبتهم في الحياة الدنيا ونال من أعراض وسمعتهم بالاتهامات والافتراءات الباطلة، وإذا لم يكف ثواب أعماله الصالحة لأداء ما عليه من حقوق العباد وديونهم، فعندها يُحمل بذنوب وأوزار الذين نال منهم في الحياة الدنيا.

إن الحادثة المليئة بالعبر التي سنوردها تبين هذه الحقائق التي ذكرناها آنفاً بأجلى صورة:

لقد اعتاد أحد المبتلين بمعصية الغيبة على الوقوع في غيبة أحد أصحاب الحق الذي يقطن بجواره، ولا يفتأ يذكره بالشر. وبسبب هذا الأمر لم يكن أحد الناس يحب ذلك المغتاب لعادته السيئة، إلا أن طبيب القلوب صاحب الحق ذاك كلما كان يواجه المغتاب

أو يحضر مجلسه يستقبله بوجه بشوش والابتسامة تعلو محياه، ويقول: "تعال إليَّ أيها الصديق والشريك العزيز" فيغرقه بالاهتمام والترحيب. وقد أعادت هذه الحالة والمعاملة الجميلة، أعادت المغتاب إلى رشده، واتخذ قراره قائلاً:

- "إنني أغتاب ذلك الإنسان في كل مكان، وأما هو فلا ينفكّ عن الاهتمام والترحيب بي، فلن أذكره من الآن فصاعداً بسوء."

فترك الرجل الغيبة ولم يعد يذكر صاحب الحق بسوء، إلا أنه لم يعد يجد ذلك الاهتمام والرعاية التي كان يتلقاها من صاحب الحق ذاك كسابق عهده عندما يلتقي به. استغرب الرجل من الأمر ودفعه الفضول لمعرفة السبب إلى السؤال:

- يا سيدي! لم تعد تبد اهتمامك بي، ولم تبق محبتك لي كسابق عهدك، فما سبب ذلك؟

تبسّم صاحب الحق الذي وجد الفرصة المناسبة لتقديم النصح والإرشاد إلى الرجل وأمثاله ممن ابتلوا بخصلة الغيبة المذمومة، وقال:

- في السابق كانت لي شراكة تجارية معك، والآن انتهت تلك الشراكة، ولهذا السبب فإن الاهتمام ذهب مع الشراكة. احتار الرجل في الأمر وقال باستغراب:

- عن أية شراكة تتحدث؟ فأنا لا أعرف أية شراكة بيننا.

وبينما الرجل مستغرق في حيرته وتعجبه، تابع الولي صاحب الحق حديثه:

- عندما كنت تغتابني في كل مكان ومجلس، فأنا تجمّلت بالصبر على غيبتك ولم أقابلك بالمثل، ولقاء صبري هذا كانت تكتب ذنوبي في صحيفتك، وأما حسناتك فقد كان تسجّل في صحيفتي. فكانت لي بذلك شراكة تجارية مربحة معك. وأما الآن فلا أجدك تغتابني، ويبدو أن شراكتنا تلك قد انقضت...

فسأل الرجل الذي ذهل عما سمعه من الكلام:

- هل حقاً هذه حالة المغتاب؟ أما الرجل المبارك صاحب الحق فلكي يزيد له الأمر بياناً أكثر، ساق له القول التالي:

يقول الإمام الشعراني:

"لو أنني اضطررت على الوقوع في غيبة أحد لكنت اغتبت أبي وأمي. لأن الإنسان المغتاب أولاً، يهدي ثوابه وحسناته إلى الشخص الذي يغتابه، وإذا نفدت حسناته فإنه يُحمّل بأوزار وذنوب ذلك الشخص".

عاد ذلك الرجل المغتاب الذي استغرق في تفكير عميق، عاد إلى رشده، وقرر التوبة عن عمله وعاهد نفسه على ألا يعود إلى الوقوع في غيبة أحد. يبين القرآن الكريم لنا مدى بشاعة وكبر حجم جرم الغيبة في الآية الآتية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (الحجرات: ١٢)

فكما أن الإنسان الميت يكون في حالة لا تمكنه من سماع الأقاويل البذيئة التي تنال من شرفه وكرامته وتجرحه، ولا يستطيع الدفاع عن نفسه، فكذلك الإنسان الذي يتم اغتيابه وذكره بالكلام المذموم فإنه في حالة لا تمكنه من دفع الاتهامات والافتراءات التي تلصق به في غيابه. ولهذا السبب فإن الله سبحانه

وتعالى قد شبّه معصية الغيبة في الآية السابقة بأكل الإنسان للحم أخيه الميت لبيان مدى بشاعة وفظاعة هذه المعصية.

يقول جعفر الصادق رحمه الله تعالى:

"الداعي بدون عمل كمن يرمي بالقوس من غير سهم" (أبو نعيم، الحلية، ٣، ١٩٤- ١٩٥)

وكما أنه لا يمكن تقديم الضيافة وإرواء العطش بكأس فارغة، كذلك فإن مواعظ وإرشادات الداعي الذي لا تتطابق أفعاله مع أقواله لا تحدث أي تأثير لدى المتلقين لهذه الإرشادات. وذلك لأن تأثير الكلمات وبركتها تكون حسب نسبة إخلاص الشخص وتقواه لتلك الحقيقة التي يدعو إليها.

ولهذا قال أحد الأولياء:

"الحكمة التي لا تتجسد بعمل، كالثوب الفاخر المستعار..."

وقال أحد الأولياء أيضاً:

"الواعظ بحاله، خير من الواعظ بقوله: "أي أن حال الشخص وسلوكه ومعاملته تكون في أغلب الأحيان أكثر تأثيراً من الكلام."

كان جعفر الصادق (رحمه الله) يأتي القبور ليلاً، ويقول:
«يا أهل القبور، ما لي إذا دعوتكم لا تجيبون؟» ثم يقول:
«حيلَ والله بينهم وبين الجواب، وكأني أكون مثلهم، وأدخل في جملتهم».
ثم يستقبل القبلة حتى طلوع الفجر. (المنبجي، تسلية أهل المصائب، ص١٩٢-١٩٣)

حيث أن كثيراً من الصحابة رضوان الله عليهم قد تشرفوا بهداية الإسلام من خلال تأثرهم وافتتانهم بحال النبي ﷺ ولطافته ورقته، إذ كان النبي ﷺ مثالاً حياً من لحم ودم للأخلاق القرآنية، فخلقه القرآن، وقد وُصف ﷺ بأنه قرآن يمشي على الأرض. فالإنسان يتأثر دائماً بشخصية الإنسان المقابل له.

ولذلك فإن من واجب من يقوم بالوعظ، والإرشاد، والتبليغ الالتفات أولاً إلى نفسه فيرعاها ويجاهدها على الالتزام بأوامر الله تعالى والابتعاد عن نواهيه. وبمعنى آخر على المرء العمل على إبعاد نفسه عن غضب الله تعالى من خلال الابتعاد عن التضاد بين أقواله وأفعاله. وفي ذلك يورد الله تعالى لنا مثلاً في القرآن الكريم علماء بني إسرائيل:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٤٤)

والمقصود بالكتاب هنا التوراة.

ويقول الله ﷻ في آية أخرى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الجمعة: ٥)

ويقول نبينا الكريم ﷺ:

"لما أسري بي مررت برجال تقرض شفاههم بمقاريض من نار. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال جبريل: هؤلاء خطباء من أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون". (أحمد، مسند، ٣، ٢٣١، ١٢٠، ١٨٠، ٢٣٩؛ البيهقي، الشعب، ٢، ٢٨٣)

وقد روى الصحابي الجليل أنس رضي الله عنه الذي كان قلبه يرتجف متأثراً بهذه الحقائق، روى حديثاً يبين هذه الحقائق بشكل واضح إذ يقول:

سألنا رسول الله: قلنا يا رسول الله لا تأمر بالمعروف حتى نعمل به ولا ننهى عن المنكر حتى تجتنبه كان قال رسول الله ﷺ :

"مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله" (الهيثمي، ٧، ٢٧٧)

ينبغي علينا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أولاً البدء بأنفسنا وعائلتنا، ولذلك فإن مهمتنا الأولى تتمثل في تربية صغارنا على المشاعر الإسلامية، إذ أن أطفالنا وفلذات أكبادنا سوف يسألوننا يوم القيامة ويحاسبوننا على تقصيرنا بحقهم.

حيث يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾

(التحريم: ٦)

فالآية تشير بشكل جلي على ضرورة البدء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأقرب الناس إلينا.

وإن تربية أطفالنا على الآداب والمشاعر الإسلامية النبيلة ليست مهمة بسيطة كما يتخيلها كثير من الناس بحيث يتم الاكتفاء بإرسالهم في العطل الصيفية إلى أحد المساجد الكبيرة والمزدحمة. وإن اتباع هذه الطريقة البسيطة في تلقي التعاليم الدينية لهو دليل على ضعف ونقصان المشاعر الإسلامية في قلوبنا، فالاكتفاء بهذا الأسلوب ومن ثم الاعتقاد بأننا قد أدينا المهمة الملقاة على عاتقنا في تربية الصغار، هو خداع لأنفسنا، فبينما تصرف ثروات طائلة وتبذل جهود جبارة لتدريس الأولاد في أرقى وأحسن الكليات، تزداد هواجس وقلق ومخاوف الآباء والأمهات أكثر من أبنائهم وهم يتنظرون أمام أبواب المكتبات والمدارس التي تجري فيها امتحانات قبول أولادهم للمرحلة الثانوية والجامعية، كل ذلك في سبيل تأمين مستقبل دنيوي متميز للأطفال، تُرى كم هي النسبة المئوية لهذه الحساسية والمشاعر في سبيل تأمين مستقبل أبدي لهم، أي في الحياة الأخروية...؟

ينبغي ألا ننس بأن تحضير أولادنا بشكل جيد للامتحان الإلهي في هذه الحياة الدنيوية الفانية، هو الامتحان الأهم بالنسبة لنا جميعاً.

إن المسؤولية الأكبر الملقاة على عاتقنا في هذه الأيام، هي مسؤولية أولادنا، لأن النظام التحرري الذي يتحرك اليوم وفق مبدأ "دعهم يفعلوا، دعهم يمروا" يشكل ويقوي الجوانب الأنانية لدى أطفالنا بتسميم عقولهم وأفكارهم وتأجيج الشهوات النفسية والدونية لديهم من خلال البرامج الإعلامية والتلفزيونية السلبية، ومواقع الانترنت المنحرفة، وأشكال الموضى المهيجة، والإعلانات البراقة الخادعة، حيث تتعلق قلوبهم بالمظاهر الدنيوية التي تبهر أبصارهم، ويقعون في فراغ الغربة عن دينهم، وثقافتهم، وتاريخهم، وحتى عن عوائلهم...

ولكل ذلك نجد أنفسنا مضطرين من أجل حماية وإنقاذ أنفسنا وأولادنا، وعائلاتنا، وأقربائنا، وكل مجتمعنا من هذا التيار الجارف، على اتخاذ كل التدابير والإجراءات اللازمة لتحقيق ذلك.

ندعو الله تعالى أن يرينا السبيل القويم لديننا الحنيف، ويفقهنا فيه، وأن يصبغ قلوبنا وكل أحوالنا بحلاوة الإسلام، وأن يجعله من نصيبنا جميعاً وييسره لنا. آمين!..

يقول جعفر الصادق (رحمه الله):

لا تصحب خمسة: الكذَّاب فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يقرِّبُ منك البعيد ويُبعِد منك القريب، والأحمق فإنك لست منه على شيء يريد أن ينفعك فيضرك، والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه، والجبان فإنه يسلِّمُك ويفر عند الشدة، والفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها، فقيل: وما أقل منها؟ قال: الطمع فيها ثم لا ينالها.

(الغزالي، إحياء، جـ٢، ص١٧٢)

من خصائص الإسلام الرئيسية

تكريم الإنسان (٥)

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ فِي اَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

الدكتور: مُراد كَيا

يهب الإسلام للإنسان مكانة استثنائية وشرفاً متميزاً بين المخلوقات، يقول الله تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْاِنْسَانَ فِي اَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين، ٤)

﴿ولَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا﴾ (الإسراء، ٧٠)

وقد كرّمَ الله ﷻ الانسان في حياته وبعد مماته، فعن يعلى بن مرة رضي الله عنه قال:

«سافرت مع النبي ﷺ غير مرة فما رأيته مر بجيفة إنسان إلا أمر بدفنه، لا يسأل أمسلم هو أم كافر» (الحاكم، المستدرك، ١، ٥٢٦/ ١٣٧٤)

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:

"كَسْرُ عَظْمِ الْمَيِّتِ كَكَسْرِهِ حَيًّا" (ابن ماجه، الجنائز، ١٦١٦/٦٣)

فيا ترى ما هي قيمة روح ونفس الإنسان الذي تلاقي حتى جنازته كل هذا الاحترام يقول الله تعالى:

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا...﴾ (المائدة، ٣٢)

ولهذا السبب فإن التعدي على النفس سواء نفس الغير أو حتى نفسه محظور بشدة ويتوعد الله تعالى المتعدي بجزاء ثقيل[١].

١. انظر: البخاري، الديات ٢١، الطب ٥٦؛ مسلم، الإيمان، ١٧٥.

يقول مولانا جلال الدين الرومي:

«لو ذكرت القيمة الحقيقية للإنسان لاحترقت أنا والدنيا! لكن وللأسف الشديد لم يدرك الإنسان قيمته يوماً بل باع نفسه بثمن زهيد، كان الإنسان قماشاً مصقولاً فحول نفسه إلى رقعة في سترة من الصوف»[٢].

إن الله تعالى حفظاً لعباده حتى المذنبين منهم يعُدُّ التكلم في حق الغير في غيبته (الغيبة) من المعاصي الكبيرة، ويحرّم قطعاً الاستهزاء بالناس ولمزهم وهمزهم وتقليدهم على نحو السخرية وسوء الظن والتحري عن نقائصهم وأحوالهم الخاصة[٣].

لقد بين الحق تعالى أنه يصفح عن الحقوق المتعلقة به وأما العائدة إلى العباد فمتروكة لصاحب الحق هو من يسامح فيها.

إن الإسلام الذي رفع من قيمة الإنسان وكرّمه أعطاه حقوقاً متناسبة مع فضله وكرمه.

إن الإسلام يعدُّ وجود الإنسان وحده سبباً كافياً لحصوله على حقوقه الأساسية، وفقهاء الإسلام يعدُّون صفة الآدمية -أي أن يكون المخلوق إنساناً- عمدةً لحقوق الإنسان الأساسية، ويتبنّون القول بأن هذه الحقوق عامةً وشاملة، فلا يفرقون في هذا بين الناس على أساس الدين والعرق والجنس والطبقة الاجتماعية والمواطنة أبداً.

٢. المثنوي، جـ٣، البيت: ١٠٠٠ ـ ١٠٠١. (بتصرف).

٣. انظر: الحجرات: ١١ – ١٢.

العلامة المسجلة للدنيويين

نسلي خان نور تورك

إننا نشاهد في الآونة الأخيرة أن مراكز جل المدن الكبيرة قد اكتست بكسوة مشابهة، واتخذت أنماطاً وأشكالاً لا تكاد تتميز عن بعضها، وبدأت ماركات السلع والمنتوجات ذاتها تطل برأسها في معظم مراكز التسوق التي انتشرت وتكاثرت كالفطريات.

وإن أغلب هذه الماركات تحمل وبشكل كبير توجيهات وآراء يتم تسويقها معها وذلك من ناحية المفاهيم الأخلاقية، والنظرة إلى الدنيا.

ولا يتورع الكثير عن إظهارها للناس، حيث يتم عرضها بكل ارتياح سواء في واجهات المتاجر، أو في الملصقات، أو على اللوحات الإعلانية، أو نشرها في المواد الإعلانية المتلفزة.

حتى يُستنتج مما يجري أن هؤلاء ليس لهم دين عزيز مثل "الإسلام". وإذا كان الحال كذلك فلا يمكننا أن ننتظر منهم طباعة منشورات دعائية ملتزمة بحدود الأدب بما يتماشى مع المفهوم الإسلام، ولا القيام بأعمال تراعي تحصيل رضا الله تعالى. فأول ما نرجو من الله تعالى لمثل هؤلاء هو الإيمان.

إن مشكلتنا الأساسية أو ما يمهنا بالدرجة الأولى هم الذين يعلنون في الظاهر أن "الإسلام دينهم، والقرآن الكريم كتابهم". والذي يبدو لنا أن الشركات والمؤسسات التي جعلت الكسب الدنيوي غايتها، والربح المادي معيار نجاحها تلجأ في كل مكان تقريباً إلى تصرفات وسلوكيات مشابهة لبعضها، وتتبنى شعارات ومبادئ ودساتير متماثلة. فعندما تضع هدف التوسع والانتشار في العالم نصب أعينها تبدأ بتقبل جملة من الأعمال والتصرفات التي لا يرضاها الله تعالى. وإننا ندرك ذلك من خلال الأشخاص

الذين يشغلونهم، وأنماط وأساليب العمل، والمواد التي يستخدمونها في حملات الدعاية والإعلان سواء المطبوعة أو المرئية. وحتى في أحيان وفترات كثيرة لا نرى فروقات واختلافات بين الشركات التي يؤسسها أصحاب رؤساء الأموال المسلمين، وبين تلك التي يؤسسها غير المسلمين. وفي مثل هذه الأوضاع يصعب فهم أو معرفة ما ترمي إليه هذه الشركات، وما الهدف الذي تخدم في سبيله. وأما ما يقتطعونه من مبالغ كبيرة من أرباحهم الضخمة التي لا تنخفض أبداً ويهدرونها بتقديمها لأندية كرة القدم فهو مسألة أخرى. لا ندري يا هل ترى هذه هي طريقة العمل في ذاك العالم...؟

من الطبيعي جداً أن تحقق الشركة الربح، وتسعى لتنظيم أنشطة وفعاليات اجتماعية، أو تقدم الدعم والمساعدة لتلك الموجودة. وفكرة الانتشار في العالم فكرة لا غبار عليها وجديرة بالتقدير. وحتى أن على رجل الأعمال المسلم اعتبار خدمته وعمله مهمة على مستوى العالم باعتباره جزءاً من أمة نبي أرسل كتاب التبليغ إلى النجاشي ملك الحبشة. ونظراً لكون التجارة حلال وسنة، والتبليغ فرض فإنهما قد يكونان سوياً قوة عجيبة وتساند الواحدة منهما الأخرى.

ولكن بشرط! وهو عدم التنازل عن منهج النبي عليه الصلاة والسلام أو التهاون بشأنه!وبكل الأحوال فإن الجزء الذي يهمنا يبدأ هنا. لأنه بسبب ما تتبعه أو تتبناه الشركات التي يكون مؤسسوها ومديروها مسلمين من مفاهيم وأساليب دعائية وإعلانية بعيدة عن منهج النبي عليه الصلاة والسلام والتي من شأنها دفع المجتمع إلى الحرام، والأسوأ من ذلك خلق مفهوم يحل الحرام، بسببه تعرَّضُ القوة التي أشرنا إليها للضعف.

في إحدى المقابلات التي صادفتها خلال الأيام التي كنت أجري فيها دراسة حول الشركات المسلمة وُجه السؤال التالي لمالك إحدى الشركات: هل تفكر بتقديم نصف أرباحك لمؤسسة خيرية تنشط في مجال مساعدة الناس؟. فكان جوابه:

"أنا إنسان مسلم، ولهذا فعندما أعطي فإني أراعي الحدود والمقادير التي بينها الله تعالى. والمقدار الذي بينه الله هو واحد بالأربعين".

عند قراءة هذا الحوار كنت أود للوهلة الأولى أن أقره على كلامه، وأراه محقاً. ولكن عندما نظرت إلى نمط عمله، لم أجد أنه يراعي الحساسية ذاتها.

إن وجود نماذج مشابهة وبكثرة في الأسواق، وميادين العمل من شأنه إثارة القلق لدى المسلمين. فإنتاج وتقديم المواد الدعائية والإعلانية من خلال أبطال الرسوم المتحركة الذين يظهرون نصف عراة والتي لا تقل خطراً عن المخدرات في إفساد أخلاق أطفالنا، وتسويق جمال وجاذبية المرأة باسم الحجاب والذي من شأنه إثارة الغرائز الشهوانية ونشر الانحلال ليس من الإسلام بشيءٍ.

فهل هذه المواقف والسلوكيات المتناقضة مع أسس القرآن والسنة هي رغبة بإرضاء أحد ما، أم تصرف لإظهار الفاعل نفسه بمظهر الذي يقف على مسافة واحدة من الجميع، أم أنها توهم عجيب وغريب نابع عن رغبة الشخص بالتوسع في التجارة الخارجية لتقديم خدمات جليلة للإسلام؟

بالله عليكم؛ ما معنى صور النساء شبه العاريات، وباللباس القصير، وصور رجال مرتدين القبعات التي تملأ البروشورات والقوائم الدعائية المصورة؟ وهل عند البيع كل شيءٍ مباح، وعند العطاء الحدّ هو واحد بالأربعين؟.

أتساءل؛ لو دخل النبي عليه الصلاة والسلام إلى هذه الشركات والمتاجر، ونظر إلى أشكال العاملين والموظفين فيها، وإلى اللوحات الإعلانية المعلقة على جدرانها، وإلى قائمة المبيعات المصورة

والمطبوعة، فهل سيتبسم؟ وهل سيُسر، ويقول ما شاء الله! أتمنى لكم مزيداً من النجاح والتقدم؟

هل بإمكانكم أن تقدموا الوجوه الدعائية والإعلانية التي تسمونها بعارضات الأزياء وتنفقون عليها الملايين من الأموال، هل بإمكانكم أن تقدموها إلى النبي عليه الصلاة والسلام وتعرفوه بها؟

هل بإمكانكم الدفاع عن أصواتكم الإعلانية بالقول: لم يكن هذا الإنسان يصلح لشيءٍ سوى الإسهام في إفساد المجتمع؛ ولكن صار من المشاهير فاخترناه لإعلاناتنا؟

أجل؛ هل لو جاءكم النبي عليه الصلاة والسلام سوف تشغلون في متاجركم ومعارضكم أجهزة الموسيقى لتصدح بأصوات الموسيقى الأجنبية الغريبة والعجيبة؟

وهل ستقدمون خدماتكم عن طريق بائعات متزينات بمختلف أشكال وألوان الزينة؟

وإذا دخل النبي عليه الصلاة والسلام الذي أتم تبليغ رسالته دون نقصان وأعلن ذلك في خطبته قائلاً "اللهم اشهد"، إذا دخل إلى متاجركم فمن أي العباءات والسترات الضيقة التي تعرضونها بفخر قائلين "هذه تشكيلتي" ، من أيها سوف يشتري لابنته فاطمة الزهراء؟

ومن أي تلك السراويل والقمصان الضيقة سوف يختار لصهره علي؟

قد تحاولون تبرير الوضع بالقول: "يا سيدي إننا علامتنا المسجلة عالمية!".

ولكن ماذا لو سأل بحزن وأسى: وماذا بشأن الآخرة؟ فبماذا سوف تجيبون؟

أجل؛ إن الشركات التي اختلطت صناديقها وخزائنها بالحرام هي بكل أسف شركاتنا، وليست شركات الآخرين. وفوق ذلك فإن بضائعها وسلعها لا تكسد على الرفوف في متاجرها، وإنما يجدون من يشتريها بأغلى الأثمان. فتلك الخرق وقطع الملابس "العصرية/ المتماشية مع الموضة" المخالفة بشكل جلي للآثار والسنن النبوية لا تكاد تصل إلى المتاجر ومراكز التسوق حتى يتخطفها الناس، فتباع وتنفد من الأسواق بسرعة كبيرة. وإذا ما تم تنبيه أصحاب الشركات وتذكيرهم، ووعظهم فإن جوابهم يكون:

"المسألة مسألة عرض وطلب، فماذا نفعل نحن إن كان الناس يريدون هذا!".

عندما يُؤخذ إرضاء الناس وليس رضا الله تعالى بعين الاعتبار، فإنه يسهل الوصول إلى الهدف الملفق المسمى "العلامة المسجلة العالمية". إذ أن الشيطان يمهد الطريق أمام نجاح العمل. فيَحظى الذي يحققون النجاح الدنيوي بالاحترام والتقدير، والتصفيق من قبل أهل الدنيا. إلا أن الأمر الصعب يا إخوتي هو دمغ الأعمال والأشياء ب "ماركة الدنيويون".

فالأمر الصعب هو العمل مع حمل هاجس الآخرة، دون أدنى تهاون في مسألة رضا الله، واتباع سنة رسوله. الإقبال على الدنيا والانتشار فيها بخطوات مسلم صحيح الإسلام مع الحرص الشديد على الأخلاق والمعرفة! فهل هناك شيء سيفشل الإنسان في تحقيقه بعد العزم على هذا؟

أليس الله تعالى الذي يعين على الثبات لنيل السعادة في العالمين، وأليست أوامره ونواهيه ظاهرة للعيان؟

عندما يُؤخذ إرضاء الناس وليس رضا الله تعالى بعين الاعتبار، فإنه يسهل الوصول إلى الهدف الملفق المسمى "العلامة المسجلة العالمية". إذ أن الشيطان يمهد الطريق أمام نجاح العمل. فيَحظى الذي يحققون النجاح الدنيوي بالاحترام والتقدير، والتصفيق من قبل أهل الدنيا. إلا أن الأمر الصعب يا إخوتي هو دمغ الأعمال والأشياء ب "ماركة الدنيويون".

إن رجال أعمالنا يعلمون جيداً أن التجارة حلال؛ إلا أنه يمكنك بيع الخل، ولكن لا يمكنك بيع الخمر. إذ أن الخمر مادة مسكرة، ومذهبة لملكات العقل، عدا عن أنها مدعاة للكثير من المفاسد والخبائث. فهي حرام. وإن الدعاية للحرام حرام أيضاً.

حسناً؛ فماذا عن استخدام المرأة بأعلى درجة من الزينة والتجميل والجاذبية كمادة دعائية وإعلانية، ألا يُعد تجميلاً لنمط حرام من الحياة في أعين الشباب، وتحبيباً لهم به؟

وهل كفارة مثل هذا الذنب والمعصية هو بضعة دراهم تلقونها في صناديق صدقاتكم؟

ألن يُسأل الرجل غداً في القبر أي حمية هذه، وأي حرص من التبذير؟

أليس التذرع بـ"أن الأعمال لا تسير بطريقة أخرى"، ثم الاستلقاء على الطين في المستنقعات، والغرق في الذنوب والمعاصي بالوقوع في أسر نمط ونظام الحياة السائد دون الإصغاء لصوت الضمير، أليس دليلاً واضحاً على ضعف خطير في الإيمان؟

إن الأمر الذي سيكون سبباً في فوزنا وربحنا في الآخرة هو ربح أيضاً حتى وإن بدا في الدنيا خسارة. وإن الأمر الذي سيكون سبباً لخسارتنا في الآخرة خسارة أيضاً حتى وإن بدا في الدنيا ربحاً. الأخ لا يريد لأخيه الضرر والخسارة. وعندما ينبهه ويعظه لا يريد التضييق عليه ولا إلحاق الخسارة به.

فوالله إن لم نتكلم بهذا الذي قلته، فإننا نكون قد أهملنا إهمالاً عظيماً في مسألة حماية وحفظ أنفسنا وأجيالنا، وإذا لم ننصح ونعظ بعضنا بعضاً فإننا نكون مستحقين لعقاب جماعي شديد.

والآن كونوا منصفين وتكلموا! ألم يحن الوقت لنتوقف ونطرح على أنفسنا السؤال الآتي:

إلى أين يسير بنا هذا التيار؟.

الأقطاب الذهبية

محمود سامي رمضان أوغلو أفندي

بقية العاشقين ممن يأملون الوصل؛ الحلقة الرابعة والثلاثون من السلسلة المباركة

الذي ملأ العالم شعاعاً بأنواره في كل زمن؛ ويكتب عن عشقه للحقيقة كلُّ قلم

كان في كل أحواله قليل الطعام، قليل الكلام، قليل المنام؛ ثابتاً على الحق لم تزِل له قدم

لم يكن يشغل بالغفلة قلبه ولا لسانه؛ ولم يكن يُسمع إلا اللطف من لسانه

لم تسقط له على الأرض راية حتى في أصعب الأيام؛ ولم يُتح للعميان إخفاء شمس الحقيقة

تفتق مثل زهرة من بستان النقشبندي؛ وانطلق إلى العالم من بحر كلامه

فتح دفتر القلب بالبسملة؛ فهدى إلى الحق قلوباً غافلة

لم يفرح لكسب، ولم يحزن لفقد؛ ولم يتأفف من عبد انحنى لربه

كان حبيبه الوحيد في قلبه المملوء عشقاً مولاه؛ وكان دائماً ريح الحق التي تهب في حضرة الله

كان عبداً لله ولم يأبه بالظلال؛ في وجهه أثر العشق، ونور ينير الليالي

كان وردة متفتحة بالعشق؛ كانت تقطف وردته مع الورود؛ كان يجعل نفسه بساطاً ويفرشه على طريق الحق

كان جندياً من جنود الله في قافلة العاشقين؛ ورحلته إلى المدينة كانت رحلة وصل

كل المريدين يكتوون بنار الشوق والحسرة إليك؛ يا من نلت الوصل مع الحبيب في الجنة الباقية.

(محمد باش)

الشعور بالأمانة

عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: «إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» (البخاري: ٦٤٩٦)

نهاد توزون

الأمانة ضد الخيانة وهي كل حق لزم أداؤه وقيل هي: التعفف عما يتصرف الإنسان فيه من مال وغيره، وما يوثق به عليه من الأعراض والحرم مع القدرة عليه ورد ما يستودع إلى مستودعه)؛ فالأمانة تتناول جميع أمور الشرع ونواهيه قال تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب: ٧٢)

ولقد خلق ربنا سبحانه وتعالى الإنسان في أحسن تقويم ونفخ فيه من روحه من بين جميع المخلوقات. ثم أوكل إليه مهمة إعمار الأرض وبنائها. إلا أن الناس ما عدا الأنبياء والرسل، والصالحين، والصادقين، والشهداء الذين امتدحهم الله تعالى في كتابه الكريم ومن تبعهم فما سوى هؤلاء لم يفلحوا في النأي بأنفسهم عن الخطاب الإلهي الوارد في الآية المذكورة آنفاً. فخانوا الوعد والعهد الذي قطعوه على أنفسهم، وتنكروا له.

إن الأمانة التي تُعد من أهم صفات الأنبياء والرسل تشمل كل شيء مادي ومعنوي يُؤتمن عليه الإنسان بقصد استرداده فيما بعد. فالأمانة مسؤولية عظيمة لا تقتصر على الأمور والأشياء المادية فحسب. فالروح أمانة، والبدن أمانة، والعمر أمانة، والعلم أمانة، والوعد أمانة، والعمل أمانة، والسلطة أمانة، فكل شيء مادي أو معنوي بين يدي الإنسان أمانة. والناس سواء كانوا من ذوي الأرحام أو غيرهم أمانة، وكذلك الحيوانات أمانة. وحتى التربة والأرض التي نطؤها بأقدامنا، وما تقدمه لنا من منتجات ومحاصيل أمانة أيضاً. أي أنها متعلقة بذمتنا ونحن مسؤولون عنها. وبناء على ذلك فليس لأحد أن يتصرف في هذه الأمانات أو يستخدامها بحرية دون إحساس بالمسؤولية، وليس لأحدٍ أن يسيئ استعمالها. لأن الله عز وجل سوف يحاسب كل صاحب عقل وإرادة حرة عن كل نعمة أنعم بها عليه.

فلا يحل لأحد التصرف بترف وعشوائية دون احترام حقوق الآخرين وحقوق ما حوله من أشياء.

ولا أن يقول: الجسم جسمي، والروح روحي، والمال مالي، والعمل عملي، والسلطة لي!. فليس من حق من لا يملك العسل أن يتذوقه بطرف أصابعه ولو كان قليلاً. لأن كلاً من العسل، والإصبع أداة امتحان وأمانة بين يديه. وليس من حق أحد التصرف وكأنه وحيد في محيطه ودنياه. وليس لأحد التغافل واللامبالاة بحقيقة أن كلاً من الوردة، والذبابة وغيرها من المخلوقات الحقيرة والصغيرة إنما هي إحدى الحلقات المتممة للكون، فلا يحق له اقتطافها، وقطعها، وقتلها دونما سبب. إن كان هذا بالنسبة للمخلوقات الأخرى، فما بالكم بالنسبة للإنسان!.

إن السبب الرئيسي والأساسي للاضطرابات والآلام وأشكال المصائب والمشكلات التي نراها اليوم يكمن في مشكلة الخيانة. فكل كائن على وجه هذه البسيطة سواء كان حياً أو جماداً ينال نصيباً من هذه الحالة من الخيانة وانعدام المسؤولية. فالطمع والجشع في تحصيل مزيد من القوة والهيمنة والثروة قد حول هذا العالم الذي نعيشه إلى جحيم. إن مرض خيانة الأمانة يكمن في أساس كل المصائب التي نشاهدها اليوم، ابتداء من الآلام والدموع وصرخات المظلومين التي نسمعها من كافة أطراف العالم، وانتهاء بالشرخ والفساد الحاصل في العلاقات الإنسانية، وتغيرات المناخ، وتلوث البيئة، وكوارث الطبيعة.

إن الإنسان الذي يصل إلى مستوى الوعي والشعور بالأمانة لا يسقط عادةً في الغفلة. فلا يأكل حقاً لغيره، ولا يتنازل عن حقه. يعرف حدوده، ولا يتعداها. ولا يخون الوعد والكلمة. وقد يتعرض للظلم إلا أنه لا يظلم أبداً. ولا يتصرف دون مبالاة بمحيطه. لا يرمي سهامه جزافاً خشية أن ترتد عليه. وباختصار فهو يرى أن الكل في الجزء، والجزء في الكل فلذلك لا يقتلع ولو لَبِنة واحدة من البناء الذي يعيش فيه، ولا يقطع الغصن الذي يقف عليه.

إننا نجد اليوم وبكل أسف أن الثروات والأموال تتجمع في أيادٍ معدودة في العالم بسبب عدم وصول الحصة التي ينبغي صرفها للمحتاجين خاصة، ولمصلحة المجتمع عامة إلى مكانها. ونجد أن العلم لم يعد يتحول إلى حكمة لأنه قد أخرج من دائرة الأمانة، وعُد وسيلة للقوة والسلطة والهيمنة. ولأن القوة والسطلة قد أبعدت عن مفهوم الأمانة فقد صارت مصدراً للظلم والاضطهاد والقهر. وفي النهاية نجد أن المضطهِد والمضطهَد يعانيان ويتألمان على حد سواء. لأن الجميع يعاني من التوتر والاضطراب والقلق في العالم الذي يسوده منطق القوة والغلبة والتنافس على امتلاك كل شيء.

عن أبي هريرة رضي الله عنه،
قال: قال النبي ﷺ:
"اشترى رجل من رجل عقارا له،
فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره
جرة فيها ذهب، فقال له الذي اشترى العقار:
خذ ذهبك مني، إنما اشتريت منك الأرض، ولم
أبتع منك الذهب، وقال الذي له الأرض: إنما بعتك
الأرض وما فيها، فتحاكما إلى رجل، فقال: الذي
تحاكما إليه: ألكما ولد؟ قال أحدهما: لي غلام،
وقال الآخر: لي جارية، قال: أنكحوا
الغلام الجارية وأنفقوا على
أنفسهما منه وتصدقا "
(رواه البخاري ومسلم)

إن الضامن لعالم يسوده الأمن والسلام والطمأنينة هو الإنسان الذي بلغ مستوى الوعي بالأمانة، الإنسان الصادق المخلص المحترم للوعد والعهد الذي قطعه على نفسه تجاه الله تعالى. لأن الاحترام هو تقبل الوجود والكون، وهذا الباب يقود إلى المحبة. وعندما تنظر إلى الكون باحترام فإنه يكشف لك عن أسراره. وحينئذ فلن تؤذي، ولن تؤذى.

فضيلة العفو والإحسان

صباح الدين توزون

قال النبي عليه الصلاة والسلام عن فضيلة العفو والإحسان:

"ثلاثٌ والذي نفسي بيده لو كنت حالفاً لحلفت عليهن:

١. ما نقص مال من صدقة فتصدقوا.

٢. ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله إلا زاده الله بها عزاً يوم القيامة.

٣. ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر". (إحياء علوم الدين)

إن العفو والإحسان من صفات الله تعالى. فهو ذو العفو المطلق الذي لا حدود لعفوه ولا نظير. ويصف الحق سبحانه وتعالى نفسه في كتابه الكريم بأسماء مثل العفوّ، والغفور، والغفار، والحليم. ويريد من عباده أن يتصفوا بهذه الصفات أيضاً. إن الله عفو يحب العفو، وكريم يحب الكرم، وجواد يحب الجود. فالله ﷻ يريد أن يرى آثار نعمه على عباده.

وقد اعتبر العفو فضيلةً سامية لكونه ثقيلاً على النفس. إذ إن العفو جهاد وصراع مرير مع الشيطان أولاً، ومع النفس والمشاعر والعواطف ثانياً. ولهذا فإن العفو فعل قلبي، وانقلاب على الطبائع والعادات، وثورة روحية أمام تيار النفس والهوى.

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٤- ٣٥)

فهذه الآية وإن كانت تقدم فعل الخير والحسنة إلا أنها تشير إلى معنى العفو وأهميته في عمل الخير والإحسان وتضيفه إليه. لأن الخير الذي يفعله من لا يستطيع العفو لا يُعد في الأصل عمل خير، وإنما يبدو ذلك في ظاهر الأمر. ولهذا كان الله تعالى عظيماً جليلاً. وبالتأكيد فإن عفوه تعهد وليس اضطراراً.

فهو رؤوف رحيم في ذاته وفعله رحمة لا نهاية ولا حد لها. وما شفقة الأم بأبنائها إلَّا مظهراً من مظاهر تجليات هذه الرحمة والرأفة. ولهذا فإن الأمهات لا تحقد على أبنائها، ويعجز الكلام عن وصف عفوهن عنهم.

وإن من أفضل نماذج تجلي فضيلة العفو في العبد موقف أبي بكر الصديق ﵁ الذي كان قمَّة في الشفقة والرحمة. فقد كان ابن خالته مسطح بن أثاثة من الذين شاركوا في حادثة الإفك وخاضوا في الافتراء وترويج الشائعة على ابنته أم المؤمنين السيدة عائشة ﵂. وكان مسطح قد نشأ يتيماً فقيراً وكان أبو بكر ﵁ يتولى رعايته والإنفاق عليه كعادته في الإنفاق على فقراء المسلمين. وأما بعد الهجرة إلى المدينة فكان أبو بكر ﵁ قد زاد من اهتمامه به ورعايته له وإنفاقه عليه وكأنه واحد من أبنائه.

ولما وقعت حادثة الإفك صدَّق مسطح الفرية التي افتُري بها على السيدة عائشة الطاهرة وأخذ يخوض فيها مع المنافقين. فغضب أبو بكر وقال له:

لا أنت مني ولا أنا منك، ثم قطع صلته به، حتى أنه بلغ به الأمر لشدة غضبه أن قال:

"والله لا وصلتك بدرهم أبداً، ولا عطفت عليك بخير أبداً". فنزل فيه قول الله تعالى:

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور: ٢٢)

قال النبي
عليه الصلاة والسلام
عن فضيلة العفو والإحسان:
"ثلاثٌ والذي نفسي بيده لو كنت
حالفاً لحلفت عليهن:
ما نقص مال من صدقة فتصدقوا.
ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها
وجه الله إلا زاده الله بها عزاً
يوم القيامة.
ولا فتح رجل على نفسه باب
مسألة إلا فتح الله عليه
باب فقر".

فأرسل النبي عليه الصلاة والسلام في طلب أبي بكر وقرأ عليه الآية التي نزلت فيه. ولما وصل رسول الله عليه الصلاة والسلام إلى قوله تعالى:

﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

بكى أبو بكر ﵁ وقال: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، ودعا مسطح إلى بيته. ولما جاء مسطح إلى أبي بكر وقد أصابه خجل شديد، ضمه أبو بكر ﵁، وعفا عنه. وضاعف له النفقة التي كان ينفقها عليه من قبل. وفي هذا السياق يقول المرحوم نور الدين طوبجو الذي يُعد أحد نجوم حياتنا الفكرية:

"الأرض لا تعفو عن نكران الجميل؛ وإنما تنتظر شكر الذي يهديها البذار مراراً وتكراراً. والسماء لا تعفو عن الغفلة، وإنما تنتظر الشفقة من الشمس لتنزل الرحمة إلى الأرض. فالعفو خاص بالإنسان. ولا ريب أن الذي يُعد قرار العفو هو القلب. وأما صاحب العفو الأساسي فهو الله تعالى. ولو قيل: الله تعالى خلقنا من أجل العفو، بدل القول: أنه خلقنا من أجل اقتراف الذنوب، لكان أولى وأجدر. ولا يعفو الإنسان إلا بمحبة الله، ولا يعرف العفو إلا من في قلبه محبة الله. فالذي لا يؤمن بالله لا يعفو".

لقد ترك لنا النبي ﷺ ميراثاً عظيماً في هذا المجال كما هو حاله في كل مواقف الكمال. فهو دائماً ما كان يواجه الذين ظلموه واضطهدوه بالعفو. ولم يحقد أبداً على الذين أخرجوه من دياره، وأنزلوا به مختلف أصناف الأذى. ولم يتوعد الذي سخروا منه واستهزؤوا به، وافتروا عليه. وإنما قابل كل ذلك

بمنتهى الشفقة، والعفو، والدعاء لهم بالهداية. وقال في حقهم: "اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون".

إن ما يُعرف بالعناصر الأربعة أي الهواء، والماء، والنار، والتراب تشكل بنية الإنسان المادية.

ومن شأن هذه العناصر الأربعة أن تجذب الإنسان نحو العالم السفلي، أي إلى الدنيا، بينما الجانب المعنوي يجذبه نحو العالم العلوي، أي نحو الفضائل والتسامي. فإذا ما تمسك الإنسان بجانبه المادي فإنه لا يدرك ولا يستوعب فضيلة العفو والإحسان بشكل من الأشكال. فمن كانت الدنيا غايته، فلا آخرة له.

ولهذا فإنه يبرمج وينظم مشاعره وعواطفه، وأفكاره حسب المكانة التي يراها، ويكون هدفه ضيقاً. وأما الذي تشكل الآخرة محور اهتمامه وتفكيره فإن هدفه وغايته يكون أوسع وأرحب لأنه يرى الجانبين معاً. ولأنه ينظر من أعماق الروح فإنه يصبح سيد مشاعره وشهواته ودوافعه وغرائزه. فهو يحب في الله، ويبغض في الله، ويجاهد في سبيل الله ﷻ، ويعفو لوجه الله ﷻ.

لا شك أن العفو حمل ثقيل وشديد. لذا فهو بحاجة إلى القدرة والقوة. فمثلاً من أسماء الله تعالى الحسنى الحليم. والحليم لغة يعني الصفوح، والمتسامح، والذي لا يعجل بالعقوبة. والله تعالى بهذا المعنى حليم حلماً لا حدود ولا نهاية له. ولا يمكن الحديث عن الحلم إذا لم يكن لدى الإنسان القوة والقدرة، إذ أن الحليم هو الذي يعفو ويصفح مع القدرة على العقاب. وقد يكون الإنسان صاحب نفوذ وقدرة دنيوية، إلا أن قوته وقدرته الحقيقية تكون مستندةً إلى حقه في الآخرة.

روي أنه إذا كان يوم القيامة ووقف العباد للحساب نادى مناد: ألا من كان له على الله حق فليقم فيقوم أناس كثيرٌ. فيتساءل الناس من يكون هؤلاء. فيناد المنادي: هؤلاء العافون عن الناس.

ولا يعرف قيمة هذا الأمر إلا من عرفوا الله تعالى. وكما يقول مولانا جلال الدين الرومي: "من الذي كان سيشعرنا بلذة العفو ومتعته لولا سيئو الأخلاق وقليلو الآداب الذين نواجههم في الحياة".

وأما عكس العفو فهو الحقد. فالعفو يوسع الصدر ويمنح لصاحبه الحرية، بينما الحقد يضيق صدره، ويغل يديه. والعفو سعادة في الدارين، بينما الحقد أسر وخسارة في الدنيا والآخرة. والعفو صحة، بينما الحقد مرض. لأن القلب الذي هو مركز المشاعر والعواطف معدٌّ للعفو والإحسان، فلا يحتمل الحقد. وكما أن الحقد يفسد بنية الإنسان الروحية، فإنه كذلك يقلب بنيته البيولوجية والنفسية رأساً على عقب. وإذا ما عاش الإنسان بمشاعر الحقد والبغضاء والانتقام فإنه لا يتقدم في الحياة أبداً، ومن ثم فإنه لا يسمو ولا يرتقي معنوياً.

"لا يَحملُ الحِقدَ مَن تعْلُو به الرُّتَبُ   ولا يَنالُ العُلى مَنْ طبعُه الغَضَبُ"

نسأل الله أن يلحقنا بزمرة من تساموا بالمعنويات، ويجعلنا من الذين أنعم عليهم بنعمه الظاهرة والباطنة لنكون من الذين تركوا أثراً على هذا الطريق القويم. آمين.

لا شك أن العفو حمل ثقيل وشديد. لذا فهو بحاجة إلى القدرة والقوة. فمثلاً من أسماء الله تعالى الحسنى الحليم. والحليم لغة يعني الصفوح، والمتسامح، والذي لا يعجل بالعقوبة. والله تعالى بهذا المعنى حليم حلماً لا حدود ولا نهاية له.

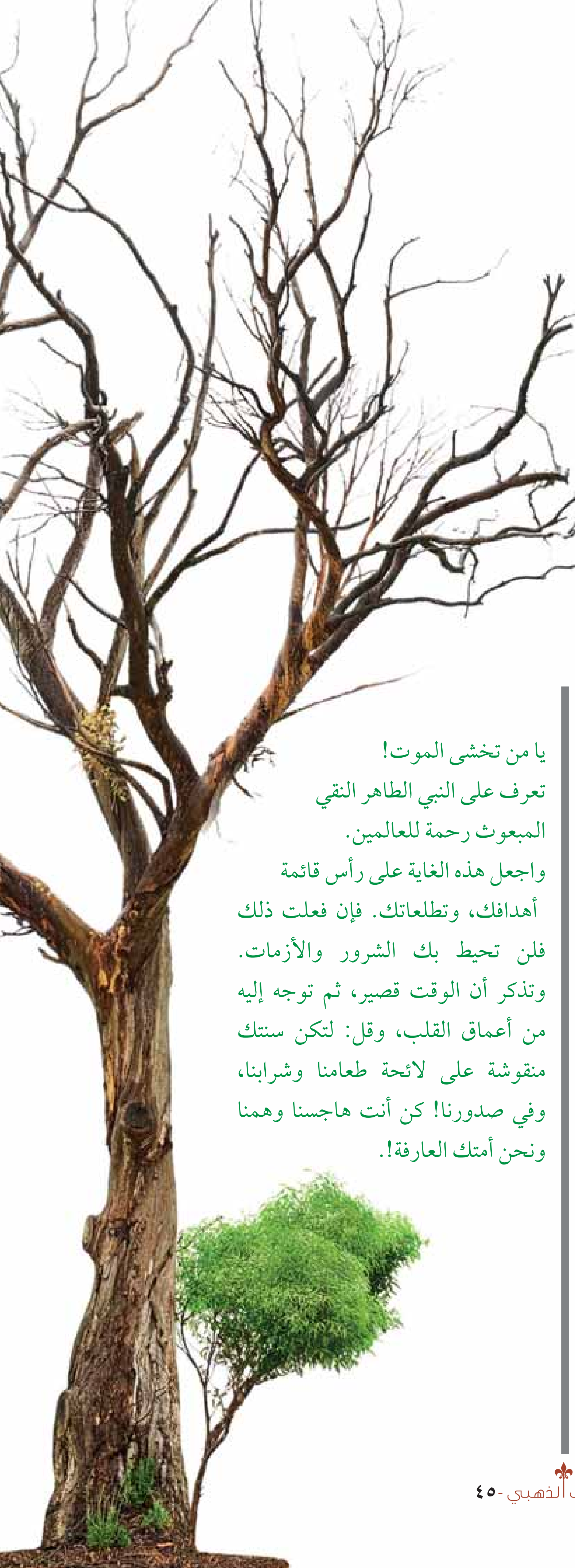

يا من تخشى الموت!

نسليهان نور تورك

أجل؛ قريباً سوف يغادر كل واحد منا هذه الدنيا كما جاء إليها. ولكننا يا سيدي لم نأت لنصاب بالهلع والذعر كلما خطر الموت في بالنا! فذلك الهلع أمر شاذ خاص بمن لا يؤمن بالآخرة. وأما المؤمن فقد أقر سلفاً بأنَّه ميت، ومن ثم أدرك وتقبل فكرة وحادثة الموت. وما يليق به هو الاستعداد الدائم له، وأن يكون بحالة من الشوق والحماس حرصاً على أن تكون لحظاته الأخيرة من حياته على خير صورة.

إن هذا الحماس والهيجان الذي نتحدث عنه هو من الهيجان الذي يصيب المتسابق الذي أوشك الوقت المتاح له في برنامج المسابقات على الانتهاء. ألا يُلقى السؤال في مثل هذه البرامج ثم تبدأ الساعة بالعد التنازلي... ألا يدخل المتسابقون في سباق محموم للوصول إلى الإجابة الصحيحة قبل انتهاء الوقت، وقبل منافسيهم الآخرين... ألا يحاول المتسابقون استغلال الوقت المتاح دون إضاعة أية ثانية منها، ويحصرون تفكيرهم وانتباههم في البحث عن الإجابة المطلوبة متناسين كل همومهم وشؤونهم الأخرى؟ فشأننا في الحياة كشأن هؤلاء المتسابقين في هذا البرنامج، وشأن عمرنا كشأن الوقت المتاح لهم فيه. والمطلوب منا أن نسعى بكل جهدنا لاختيار أصح وأفضل نمط حياة فيه، واختيار خير الأعمال، واتخاذ أصوب القرارات، والدخول في أصلح الاستثمارات وأكثرها عقلانية.

يا من تخشى الموت!
تعرف على النبي الطاهر النقي المبعوث رحمة للعالمين.
واجعل هذه الغاية على رأس قائمة أهدافك، وتطلعاتك. فإن فعلت ذلك فلن تحيط بك الشرور والأزمات. وتذكر أن الوقت قصير، ثم توجه إليه من أعماق القلب، وقل: لتكن سنتك منقوشة على لائحة طعامنا وشرابنا، وفي صدورنا! كن أنت هاجسنا وهمنا ونحن أمتك العارفة!.

بما أن وقتنا محدود، وبما أننا لا نعرف كم سنعيش فينبغي أن نسعى وبحماس واهتياج المتسابق إلى توجيه أشرعتنا نحو مزيد من أعمال الخير، لا الدخول في هواجس ومخاوف الموت والبعث، وذلك لنكون أكثر نشاطاً وإيجابية، وحيوية. ولنفترض أن الخوف والخشية خيم علينا، أفليس من مقتضيات الخوف اتخاذ تدابير معينة لنكون بمأمن مما نخاف منه؟ أليس خير تدبير بالنسبة للإنسان المؤمن هو التمسك بالقرآن والسنة وتنظيم حياته على ضوئهما؟

ومن ذلك مثلاً؛ عليك أن تدرك مدى أهمية التيامن في الطعام والشراب وافعلْ ما تقتضيه هذه المسألة. وفكر بعاقبة عدم اتباع السنة في شرب الماء، وكيف أن أصابعك ورئتك سوف تخاصمك وتشكوك في الدنيا والآخرة، ومن ثم اترك عادة شرب الماء واقفاً. واعلم أنه من الغفلة توقع صحة الأسنان مع اهمال السواك! واعلم أنه من الجهل ترك السنن، والاستهانة بها! واعلم أنه من عجيب الأمور وتناقضها أن تهمل السنن من جهة، وتقول "محمد رسول الله" من جهة أخرى. يا من تخشى الموت! إن كنت من المسلمين حقاً فتعَرَّفْ على أخلاق النبي طبيب القلوب ونور العيون. واعزم في كل يوم وفي كل لحظة على التخلق بأخلاقه، والتشبه بصفاته الكريمة. فإن ملأتَ حياتك بمثل هذا العزم فلن يبق وقت للوساوس ولا للهواجس والمخاوف. اعلم أن وقتك محدود، وتوجه إليه بكل كيانك وقل: لتكن سنتك يا رسول الله نوراً لقلوبنا وأعيننا! كن أنت سعدنا نحن أمتك العابدة!

أجل؛ سوف يأتي يوم نستسلم فيه. فإننا أمانة من الخالق سبحانه وتعالى! فنحن يا سيدي لم نعثر على

أرواحنا في حاوية النفايات أو على قارعة الطرقات! وخيانة الأمانة شذوذ خاص بالخونة. وأما المسلم فيشمر عن ساعديه، ويتوضأ ويحضر عجينة خبزه بنفسه، ويسعى ويكافح، وعند الاقتضاء يخوض الصعاب ويتحمل المتاعب في سبيل طلب اللقمة الحلال الطاهرة. ولا يميل إلى الجاهز من الأمور التي ستتحول فيما بعد إلى ضرر، ولا إلى السهل منها التي ستتحول على المدى البعيد إلى مصاعب.

المسلم لا يُهدي أبناءه سكاكر مشبعة بالملونات والمنكهات الصناعية. ولا يبحث عن الراحة والترفيه عن النفس مع أسرته أيام العطل في متاجر ومحال بيع الوجبات السريعة. ولا يفكر في أن يكسب قلب ابنه ووده بشراء حاسب لوحي أو هاتف ذكي له في أول فرصة تتاح له. وليس من شأن المسلم أن يكون ضيق الأفق وقصير النظر بحيث يعتقد أن مفهوم النشاط والتفاعل الاجتماعي عبارة عن حضور مباراة كرة القدم. والمسلم له اهتمامات مثل الإكثار من قراءة القرآن الكريم وختمه، وتعلم المزيد من الحديث النبوي. وإذا ما أراد تطوير ثقافته، وتحسين عاداته وأحواله فإن مثله الأعلى في ذلك هو رسول الله ﷺ. والمسلم لا يكتفي بالصلوات المفروضة وإنما يضيف إليها السنن أيضاً. ويحافظ على طهارة مائدته وصحته المادية والمعنوية التي جعلها الله تعالى أمانة بين يديه.

والمسلم لا يهمه حماية وحفظ نفسه فحسب، فوعاؤه مليء بالأمانات التي هو مسؤول عن تعليمها وتربيتها. فهو يحافظ على أبنائه والإمكانات التي بين يديه بما يليق بوقار الإسلام وعفته. فيقوم بتبليغ هذه الآداب لغيره، ويكون نموذجاً ومثلاً أعلى. ويتمدد على

منصة غسل الجنائز ووجهه تعلوه ابتسامة جميلة. وإن الباكين في جنازته يتقربون إلى رسول الله بألم الفراق الذي يكوي قلوبهم لأنه كان في حياته مصدراً لكل قولٍ طيب فيه الخير لمحيطه القريب والبعيد.

لا شك أن الذي يستنفر كل طاقاته وإمكاناته من أجل الدنيا سوف يصاب بالهلع والذعر خشية فراقها. والحال أن السنة النبوية تقدم لنا سر أو مصدر القوة والشجاعة من خلال حثنا على العمل لأجل الآخرة وكأننا نموت غداً.

يا من تخشى الموت! تعرف على النبي الطاهر النقي المبعوث رحمة للعالمين. واجعل هذه الغاية على رأس قائمة أهدافك، وتطلعاتك. فإن فعلت ذلك فلن تحيط بك الشرور والأزمات. وتذكر أن الوقت قصير، ثم توجه إليه من أعماق القلب، وقل: لتكن سنتك منقوشة على لائحة طعامنا وشرابنا، وفي صدورنا! كن أنت هاجسنا وهمنا ونحن أمتك العارفة!.

أجل؛ إن كل الأشياء المتناثرة حولنا إنما هي لتسهل لنا تحقيق رضا الله تعالى في حياتنا. فنحن يا سيدي لم نأت إلى هذه الدنيا لنكون خدماً لهذه الأشياء! فالخضوع بالعبودية لهذه الأشياء إنما هو شذوذ خاص بالسفهاء وصغار العقول. وأما المسلم فيكتفي بالقليل. فبيته مكان للنوم والراحة، والتطهر، ومضافة لاستقبال الضيوف، ومسجد في آن معاً. إنه بعيد عن مظاهر الأبهة والزخرفة والتفاخر وأشكال الزينة التي لا طائل منها وقريب من البساطة التي جعلها حبيب الله عليه الصلاة والسلام دستوراً لحياته. فهو يعيش حراً قنوعاً دون إسراف وتبذير.

ولهذا فإنه يستطيع أن يقول لصاحب العمل الذي يمنعه من الصلاة في مكان العمل: أنا لن أعمل في مثل هكذا مكان!. إنه وقور، وغير متعلق بالأسباب لأنه يعرف مصدر رزقه. وهو يعلم حدوده من جهة، ويضع حدوداً لمن يريد التطاول على دينه وعبادته من جهة أخرى. ويجهد ويكافح لأن يكون كسبه ودخله طاهراً نظيفاً. ولا يحاول الدخول في عمل، أو شراء شيءٍ بنقود ليست متوفرة لديه. إنه يقتصد في تلبية احتياجاته، ولا يسقط في مستنقع الدين والربا.

يا من تخشى الموت! إن كنت من المسلمين فتعرف على النبي عليه الصلاة والسلام الذي كان سيد المكافحين، والذي كان ينام على الحصير. فإن جعلته قدوتك في كسبك وفي إنفاقك فلن تنتظر العطاء من الآخرين، ولن تتعلق بالسفهاء. وما الفائدة إن كانت لك مساحات شاسعة من الأرض، وأبنية وقصور، وملايين من النقود والمجوهرات. فكل ما لم تنفقه لوجه الله تعالى لن يزيدك في القبر إلا وبالاً وإرهاقاً. إن المكان الذي ستأوي إليه في نهاية المطاف معلوم، فجهز كفنك قبل كل شيءٍ، وقل: لتكن سنتك قائمة في بيوتنا، وأعمالنا يا رسول الله! وكن أنت حبيبنا ونحن أمتك العاشقة!

يا من تخشى الموت! تعرف على النبي الطاهر النقي المبعوث رحمة للعالمين. واجعل هذه الغاية على رأس قائمة أهدافك، وتطلعاتك. فإن فعلت ذلك فلن تحيط بك الشرور والأزمات. وتذكر أن الوقت قصير، ثم توجه إليه من أعماق القلب. وقل: لتكن سنتك منقوشة على لائحة طعامنا وشرابنا، وفي صدورنا! كن أنت هاجسنا وهمنا ونحن أمتك العارفة!.

أجل؛ إن العمر سوف ينقضي وينتهي كما ينتهي كل شيء. فكل من جاء إلى الدنيا رحل عنها، وسيأتينا الدور يوماً ما. فيجب التوقف على هذه الحقيقة بجدية بالغة. فالقضية أن يرحل الإنسان وهو يدرك قيمة الإحسان، القضية أن يرحل الإنسان وهو متبع لسنة الحبيب الذي ينتسب إلى أمته. إذاً؛ فلندع جانباً كل كلام فارغ لا جدوى منه، ولنقل في كل وقت: لتجتمع سنتك في أحوالنا، وسلوكنا وأعمالنا يا رسول الله! فأنت فخرنا، ونحن أمتك الضعيفة.

يوميات

القرآن الكريم

جعفر دورموش

الفوز بالأجر الكبير

يقول الله ﷻ:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا. وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (الإسراء: ٩-١٠)

إن ما نؤمله هو أن نفتح صدورنا وقلوبنا بشوق لـ "الأجر الكبير" الموعود به هنا. وانطلاقاً من ذلك يجب أن نعيد قراءة الآيات التي تدعو المؤمنين إلى الخلاص الأبدي، وإلى الأجر والمكافأة العظيمة.

إنَّ الله ﷻ يدعونا إلى بساتين وحدائق الجنة التي تُسمى أيضاً بدار السلام؛ يدعونا للخروج من ظلمات المعاصي والذنوب، والدخول تحت شعاع نور رضاه. ويبين لنا بالتفصيل كل الطرق التي نتوصل بها إلى رضاه. ويخبرنا بصفات الذين ينالون الخلاص الأبدي، ويفوزون بالأجر الكبير.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة: ٣-٤)

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ. وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ (المؤمنون: ٢-٣)

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس: ٩)

﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (آل عمران: ١٠٤)

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة: ٢٢)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (المائدة: ٩٠)

فالفائزون من يجتنبون هذه المحرمات كلها.

﴿اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

(آل عمران: ٢٠٠)

فالفائزون من يفعلون ذلك.

﴿...وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ...﴾ (الحشر: ٩)

﴿...فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ٨)

فهذه بعض الآيات التي تبين لنا صفات الفائزين الذي يبلغون الخلاص الأبدي. وأما الذين ينالون الأجر الكبير فهم المعنيون بهذه الآيات:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ (الأحزاب: ٣٥)

﴿...الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ...﴾ (النساء: ١٤٦)

﴿...الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ (الفتح: ٢٩)

﴿...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ...﴾ (الطلاق: ٥)

وهذه الآية الكريمة تشمل كل ما تقدم على جهة الإجمال وهي قوله تعالى:

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (الحديد: ١٢)

وكان النبي ﷺ يبين لنا الجهود التي يبذلها لإرشاد أمته وهدايتهم، وحرصه على هدايتهم، والبلوغ بهم إلى الخلاص الأبدي، ويبين غفلتهم عنه وإصرارهم على الهروب منه والإعراض عنه بلا وعي ولا إدراك، ويمثل ذلك برجل أوقد ناراً عظيمةً فجعلت الفراشات تتسابق بإلقاء نفسها في النار، وهو يكفهنَّ عنها حرصاً على سلامتهنَّ وهن يتفلتن منه.

فعن معاذ بن جبل ﷺ، قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار، قال: «لقد سألتني عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت» ثم قال: «ألا أدلك على أبواب الخير: الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل من جوف الليل». ثم قرأ قول الله تعالى:

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة: ١٦-١٧)

ثم قال: «ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده، وذروة سنامه»؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد». ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله»؟ قلت: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه قال: «كف عليك هذا»، فقلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم». (انظر: الترمذي، الإيمان، ٨)

من خلال ما تقدم يمكننا أن نقول: إنَّ الصفة المشتركة لكل التكاليف المتقدمة هي صعوبتها وثقلها على النفس. مثل الصبر في كل الأحوال، وحفظ اللسان، والتغلب على شح النفس، والجهاد، والتضحية بالمال والنفس في سبيل الله تعالى. والأمر المهم هنا هو عدم الانخداع والانجرار خلف المتع والشهوات التي تستهويها النفس وتسر بها. والعمل على تعويدها على التكاليف المالية بالعبادات المفروضة. والاستمرار في اجتناب الموبقات المنهي عنها بالصبر والمصابرة، والإيمان اليقيني بالأجر العظيم الذي وعد به الله تعالى، والاستمرار على هذا الإيمان مدى العمر.

والسؤال الذي ينبغي أن نطرحه على أنفسنا اليوم هو: أين نحن من "الرغبة في الأجر الكبير" التي ينبغي أن تكون باقيةً في داخلنا دائماً؟

وفاة أسعد الأربيلي

والتسلسل الزمني لأحداث حياته

د. أدهم جبه جي أوغلو

سوف نحاول في مقالنا هذا وباختصار شديد بيان كيفية وفاة الشيخ أسعد الأربيلي، ووضع تسلسل زمني لأحداث حياته.

في مطلع عام ١٩٣٠ سادت الأوساطَ الحكومية حالة من السخط وعدم الارتياح على "الفرقة الحرة" المؤسسة حديثاً واهتمامهم المتزايد بها. وضِمن هذه الأجواء المتوترة والساخطة ذهب الشيخ أسعد الأربيلي – رحمه الله – إلى كابليجا في مدينة بورصة وبقي هناك مدة من الزمن.

إلا أن الحالة التي طرأت بعد زيارة بورصة كانت شديدة القسوة، ومخيفة للغاية، مما أشعرت محمد علي أفندي بالقلق والاضطراب، فتوسل إلى أبيه الشيخ أسعد الأربيلي، وقال له: "إن هذه الأجواء لا تعجبني يا أبتي! فظلال الشؤم والشر تخيم حولنا. حيث أن بيتنا وشارعنا خاضع للمراقبة الدائمة. فعلينا أن نحتاط ونأخذ حذرنا. فدعنا مثلاً أن نخفف من هذا التجمع الكبير من حولنا، ونرسل الناس إلى مدنهم ومناطقهم. ونختفي نحن عن الأعين".

فارتسمت ابتسامة حزينة على وجه الشيخ أسعد – رحمه الله – وقال: لا يحدث إلا ما قدره الله تعالى وكتبه. وأرى أن السهم قد فارق القوس، واتخذ القرار بحقنا. وفات أوان الاحتياط واتخاذ التدابير".

وذات صباح قُرع باب القصر الأبيض وأُرسل الشيخ أسعد أفندي إلى منمن. فوضعوه في حجرة خاصة ومنفردة. ثم صاروا يدسون له السم في الطعام. إلا أنه نجا بالعناية والتقدير الإلهي. وتكرر ذلك أكثر من مرة. ولكنهم لم يكونوا يستطيعون تحقيق النتيجة التي يرومونها. إلا أن حالة السخط وعدم الارتياح كانت بازدياد. ... وفي نهاية المطاف أسعفوا الشيخ أسعد أفندي إلى المشفى.

ووفقاً لما يقوله الأستاذ نجيب: "ذات ليلة (٣/ ٤ آذار ١٩٣١) أنهوا الأمر بحقن إبرة في الوريد، وحققوا هدفهم!". وبعد مرور يومين أُعدم ابنه محمد علي أفندي مع تسعة وعشرين من خلفائه رحمة الله عليهم أجمعين.

لم يُعط جثمانه لعائلته، وإنما دُفن من قبل الجهات الرسمية في مدينة مَنَمَن. وفي عام ١٩٦٢- ١٩٦٣ بني مسجد على المحضر الذي يوجد فيه قبره.

نرجو من قرائنا أن يقرؤوا على أرواحهم سورة الفاتحة، وسورة الإخلاص ثلاث مرات...

التسلسل الزمني لحياة أسعد الأربيلي

الولادة في أربيل- الموصل ١٨٤٧.

وفي سنة ١٨٧٠ حصل على الإجازة من داوود أفندي سنة (وهو في عمر ٢٣ عاماً).

ثمَّ تزوج عام ١٨٧٣.

وفي عام ١٨٧٤ أبصر ابنه محمد علي أفندي - رحمه الله - النور في أربيل.

وفي عام ١٨٧٥ أتم أسعد أفندي السير والسلوك الذي استمر خمس سنوات. وأخذ الإجازة النقشبندية وله من العمر ٢٨ عاماً.

وفي عام ١٨٧٥ توفي الشيخ طه الحريري. (ولد الشيخ طه الحريري سنة ١٨٠٣).

وفي عام ١٨٧٥ حل أسعد أفندي محل الشيخ طه الحريري المتوفي في العام نفسه. (كان عمره ٢٨ عاماً).

وفي العام نفسه أعني عام ١٨٧٥ أدى فريضة الحج.

ثمَّ لدى عودته من الحج في العام نفسه أقام في اسطنبول. (عمره ٢٨ عام).

وسكن في تكية صالكم سوغوت بشير آغا جاغال أوغلو.

وفي عام ١٨٨٠ درس في جامع الفاتح ديوان حافظ الشيرازي، وكتاب لجنة الأسرار لملا الجامي.

ثمَّ في عام ١٨٨٣ حصل من الشيخ القادري عبد الرحمن الرفقاني على الإجازة في الطريقة القادرية، وعُين شيخاً لتكية الكلامي.

وظل من العام ١٨٨٥ إلى ١٨٩٠ يداوم على تكية فيض الله أفندي في الفاتح.

ثمَّ من عام ١٨٨٥ إلى ١٨٩٠ أصبح عضواً في مجلس المشايخ، ثم رئيساً للمجلس ذاته.

وفي عام ١٨٨٩ نشر مجموعته في الحديث باسم "كنز العرفان".

وفي عام ١٨٩٣ (١١ آب/ أغسطس) نشر ترجمة القصيدة المنفرجة.

وفي عام ١٩٠٠ نفاه السلطان عبد الحميد إلى أربيل.

وفي عام ١٩٠٠ أسس جمعية محبي الأتراك، وقاوم الاحتلال الإنكليزي.

ومن العام ١٩٠٠ إلى ١٩٠٨ تابع أعمال الإرشاد في أربيل في تكية أقامها أحد مريديه.

ثمَّ عام ١٩٠٨ عاد إلى اسطنبول بصدور إعلان المشروطية.

وفي عام ١٩٠٨- ١٩٠٩ هدم التكية الكلامية وأعاد بناءها مع التوسعة.

وفي عام ١٩٠٩ نشر الطبعة الثانية من كنز العرفان.

وفي عام ١٩٠٩ شهر آذار نشر مجموعة التصوف.

وكان يوم "وقعة ٣١ آذار" المصادف ١٣ نيسان ١٩٠٩ معتكفاً للذكر في تكيته. أي أنه لم يشارك في أحداث التمرد والاضطرابات.

وفي العام نفسه أعني عام ١٩٠٩ تم خلع السلطان عبد الحميد الثاني من الحكم.

وفي عام ١٩٠٩ شهر أيار أسس الجمعية الصوفية. جرت إجراءات وأعمال تأسيس هذه الجمعية في التكية الكلامية.

وفي العام نفسه أصبح الرئيس الثاني للجمعية الصوفية. وكان الرئيس الأول شيخ الإسلام موسى كاظم أفندي.

وفي عام ١٩١٤ أرسل من قبل السلطان رشاد إلى الحج بوظيفة أمين الصرة. (كان عمره ٦٦ سنة).

وفي عام ١٩١٤ أصبح أحد أعضاء مجلس المشايخ، وبعد استقالة أليف أفندي أصبح رئيس مجلس المشايخ. وكان راتب الرئاسة ١٠٠٠ قرش.

وفي عام ١٩١٥ تولى مهمة مشيخة تكية السليمية النقشبندية الواقعة في جيجك جي بأوسكودار، وأسند مشيخة التكية لابنه محمد علي أفندي بالوكالة.

قد عانوا من
الجفاء إلا أنهم توفوا
سلموا الروح على تلة الصفاء
وبلغوا الربيع في ديار الأبدية
وينتظروننا الآن في جنان
الخلد وقد فتحوا لنا
الأحضان.

وفي العام نفسه استقال من رئاسة مجلس المشايخ.

وقد خلفه ابنه محمد علي في تكية العتبة الشريفة أو المسماة بتكية بابا أفندي الكائنة في بيرام باشا – هاسكي .

وفي عام ١٩١٨ نشر شرح وترجمة الرسالة الأحدية المنسوبة للشيخ محي الدين بن العربي.

وفي عام ١٩١٨ نشر ديوانه.

وفي عام ١٩١٩ نشر المكتوبات للمرة الأولى.

وفي عام ١٩٢٢ نشر الطبعة الثانية من المكتوبات. كما نشر الرسالة الأسعدية للمرة الأولى.

وفي عام ١٩٢٤ أعاد نشر الرسالة الأسعدية للمرة الثانية.

وفي عام ١٩٢٥ شهر أيار جاء كارل فيت إلى التكية الكلامية ونزل فيها ضيفاً لمدة خمسة عشر يوماً.

وفي العام نفسه في شهر تشرين الثاني أُغلقت أبواب التكايا، فاعتزل الناس واختلى بنفسه في كازاسكر أرنكوي.

وفي عام ١٩٢٧ نشر "ترجمة الفاتحة الشريفة".

وفي عام ١٩٢٨ أرسل اثنين من مندوبيه إلى الشيخ سعيد لإيقاف تمرده وثورته، إلا أن الاثنين سقطا شهيدين.

في الفترة الممتدة من عام ١٩٢٥ إلى ١٩٢٩ سكن مدة بالإيجار في قصر ضياء باشا في أرن كوي.

وفي عام ١٩٢٩ باع أملاكه في أربيل، واشترى قصر شوقي باشا الكائن في كازاسكر – أرن كوي بألفي ليرة من نقود تلك الفترة.

وفي ١٨ تموز عام ١٩٣٠ نُشر خبر مليء بالافتراءات بحق أسعد أفندي في صحيفة كانت تحمل اسم الوقت مترافقاً مع صوره، وذلك تحت عنوان "شائعة في أرن كوي". فوضعت الشرطة أسعد أفندي تحت المراقبة.

ولكن في ٩ شباط من عام ١٩٣١ تم تكذيب هذا الخبر من قبل مديرية الشرطة.

وفي كانون الأول عام ١٩٣٠ وقعت حادثة مَنَمَن.

وفي ٣ آذار ١٩٣١ توفي الشيخ أسعد.

كان له ولدان، وابنتان.

١. محمد علي أفندي، تم إعدامه في ٣ شباط عام ١٩٣١.
٢. أما الابن الثاني فهو محمد علي ولم يأت إلى اسطنبول، وإنما كان يقيم في أربيل. ولم يعترف بحكم أو إدارة الإنكليز أثناء احتلالهم الموصل، وإنما بقي يعمل لصالح تركيا، وكان يشجع الأتراك للانضمام إلى عصبة الأمم.
٣. السيدة أسماء. وقد توفيت وهي شابة في مقتبل العمر.
٤. السيدة سعادة. توفيت في ٢٠ شباط عام ١٩٨٠.

ومن أحفاده البروفسور الدكتور محمد سيد تانسف. وتوفي في ٢١ حزيران عام ٢٠١٠.

وكان للشيخ أسعد أفندي – رحمه الله– شيخ يُدعى الشيخ عبد الصمد أفندي، وكان يقيم في أربيل، وينهض بخدمات الدعوة والإرشاد. وهذا الشيخ المحترم مجاز في الطريقة النقشبندية والقادرية من قبل الشيخ عبد الرحمن أفندي. وقد أخذ هذا الأخ الإجازة من أخيه أسعد الأربيلي أيضاً.

يقول الله ﷻ:

﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور، ٣٥)

وإذا ما دققنا في هذه الآية الكريمة نجد أن القرآن الكريم -بضرب هذا المثل- يُعطِي الإدراك البشري أولاً انطباعات يمكنه استيعابها، ثم يُجرِّد من هذه الانطباعات بحقيقة تتجاوز الخيال والإدراك، يُعبِّر عنها قوله تعالى: {نُورٌ عَلَى نُورٍ}، أي إن نور الله تعالى ليس كأنواع الأنوار المحدودة التي تخطر على بال الإنسان، ولن تكون كأيٍّ منها، فهو نور غير محدود فوق كل الأنوار، ونور لا يمكن أن يدركه البشر، فمن المستحيل أن يرى كل إنسان الدليل الحق، ويعلم آيات الله تعالى، ويخضع لأوامره؛ لأن إدراك المرئي كما أنه مرتبط بالنور، مرتبط كذلك بالعين التي سترى، فكل شيء يمكن رؤيته بالعين سيكون واضحًا للعين ببركة النور، أما الأعمى فلن يرى أبدًا، لذلك فإن وجود الروح التي ترى هو ركن أساسي في رؤية المخلوقات والحقائق، ولها أهمية كبيرة كأهمية النور، فالروح القادرة على الرؤية هي فقط التي تستطيع الإدراك والفهم. ونرى من ناحية أخرى أن وصف المولى ﷻ ذاتَه في الآية الكريمة بـ «النور» وقوله: {اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} يدل على أنه خالق العالم كله، وهو الذي يُري هذا الكون كله، ويُعلِّم الحقائق الكثيرة ما ظهر منها وما بطن، ويبعث الحياة في العيون والقلوب. ولو لم يكن نور الله تعالى، لما عُلِمَ أو وُجد أي شيء، ولما وصل الإنسان إلى الحقائق، ولما امتلأت القلوب بالبهجة والسعادة أبدًا.

إن جميع أنواع الأنوار التي تيسِّر رؤية المخلوقات ومشاهدتها ما هي إلا تجلٍّ من تجليات ذلك النور العظيم.

وعليه؛ فإنه كما توجد درجات للأنوار في السموات، كذلك توجد أمثلة عن هذه الدرجات في الحياة الدنيا، فعلى سبيل المثال، تضرب أشعة الشمس القمرَ، ومنه تتوجه هذه الأشعة إلى الأرض لتدخل في بيت من البيوت، وتسقط على مرآة في أحد الجدران، ثم تسقط على مرآة أخرى في الجدار المقابل، ثم تسقط على كأس ماء، ومن ثم تنعكس على سقف البيت، فنجد أن أقوى هذه الأنوار هو الذي انبعث من المصدر وهو الشمس، والنور الثاني من حيث القوة هو الذي كان في القمر، والثالث الذي كان في المرآة الأولى، والرابع في المرآة الثانية، والخامس في الماء، والسادس في السقف. ونرى أن أقرب نور إلى نقطة الخروج الأولى هو أقوى من البعيد عنها، كذلك تدرُّج الأنوار في السموات، أي إن النور المستفاد منه أقوى من المستفيد، وتزداد هذه الأنوار جميعها وتتقوى لتصل في النهاية إلى النور العظيم الذي لا نهاية له، وهو نور الله ﷻ.

صفاء القلب كالفضة

مصطفى أريش

كان أستاذنا المحترم الشيخ محمود سامي رمضان أوغلو – رحمه الله– يُولي أهميةً بالغة لصفاء القلب.

وكان دائماً يوصي من يأتي لزيارته بقوله:

"إن مركز كافة الأمراض هو القلب. ولا يصلح شيء دون إصلاحه. فينبغي إشغال القلب بذكر الله تعالى".

إن كرامة الإنسان وشرفه وعزته، وقيمته عند الله تعالى مرتبطة بصفاء القلب.

ويظهر صفاء القلب في الأقوال والأفعال، إذ إن الإناء ينضح بما فيه، وكذلك القلب.

وبناء على ذلك فإنَّ من الواجب على الإنسان الاهتمام بقلبه ورعايته، وأن يكون شديد الانتباه إلى أقواله وأفعاله.

ولا بد للحفاظ على صفاء القلب وشفافيته بزيادة الوهج والحماس الإيماني.

ولأجل ذلك يحتاج المرء إلى دقة وحرص كدقة وحرص من يعمل في حرفة الصياغة.

وينقل لنا السيد يشار جوبان أوغلو ذكرى طيبة عن الشيخ سامي أفندي في هذا المضمار، فيقول:

باعتبار أنني العبد الفقير أعمل في حرفة الصياغة كنت دائم التردد على مدينة اسطنبول. وكنت في كل مرة آتي فيها إلى اسطنبول أذهب أولاً لزيارة الشيخ سامي أفندي، فأظفر بدعواته، ثم أتوجه بعدها إلى السوق.

وكان هذا التصرف من رقائق آداب طريقنا. حيث يجلب لنا بركة كبيرة.

وقد جئت ذات مرةٍ إلى اسطنبول من أجل بعض أعمال التسوق والتجارة. فذهبت في اللحظات الأولى لافتتاح السوق لزيارة سامي أفندي في منطقة تاخته قلعه. ولما دخلت إلى غرفته استقبلني بابتسامة جميلة وقال:

"أهلاً وسهلاً بك".

ثم سألني: ماذا تعمل؟ وما هي مهنتك؟.

فقلت أنا العبد الفقير:

أعمل في حرفة صياغة الفضة!.

فقدم لي سامي أفندي معلومات تتعلق بمهنتي إلى درجة أثارت إعجابي.

حيث كور كف يده وجعلها على شكل مسكب، وقال وهو يحرك إصبعه بداخله:

يا بني! ينبغي تسخين الفضة في المسكب إلى درجة حرارة معينة. ويشترط لتذويبها غليها على نار ذات درجة عالية.

حيث يزيد التسخين، وترتفع معه درجة الحرارة، حتى تخرج وتطير كل الشوائب والمواد الغريبة.

وحينها تصفو الفضة وتنقى وتصبح صياغتها سهلة. أما إذا لم تتبخر المواد الغريبة وتخرج منها فإن صياغتها تكون صعبة وشاقة.

حيث تتشقق، وتتكسر وتذهب جهودك سدى، وربما تتأذى منها".

لقد صارت هذه التوضيحات التي تفضل بها أستاذنا المحترم سامي أفندي بمثابة درس مادي ومعنوي لنا.

ففي الظاهر يبدو وكأنه يقدم لنا معلومات وتوجيهات بشأن مهنتنا؛ إلا أنه في الحقيقة كان يقدم لنا وصفة لنجلي من خلالها مرآة قلوبنا ونجعلها صافية وبراقة.

وكان كذلك يشير إلى أهمية الحرص والدقة في الدروس المعنوية أيضاً. فهناك ضرورة ملحة لإزالة حب الدنيا من القلب حتى تستطيع مرآته إبداء الأشياء وعكسها.

يجب إخراج كافة الأمراض الباطنية من القلب، مثل: الحقد، والحسد، والغرور، والعجب، والكبر، والأنانية.

وهذا لا يكون إلا بزيادة الحرارة في القلب عن طريق الإكثار من ذكر الله تعالى.

في مجالس الصحبة تطلع على كل شيء!

إن لأولياء الله تعالى مناهج وطرقاً وأصولاً متعددة ومتنوعة يتبعونها في تربية الإنسان. فمن أولياء الله من يربون أحبابهم ومريديهم من خلال مجالس الصحبة، ومنهم من يعملون على تربيتهم بالخلوات التي تبلغ مدتها أربعين يوماً.

وأما في الطريقة النقشبندية فإن الصحبة والذكر أمران أساسيان.

وفي هذا المضمار ينقل لنا السيد هدايت أردوغان المحترم ذكرى له، حيث يقول:

لقد درست أنا العبد الفقير في مدرسة الأئمة والخطباء في دوغان حصار.

وكان لنا أخ يُدعى علي أرسلان يخدم في المدرسة. وكانت محبته، وإخلاصه وصدقه، وابتسامته المشرقة، وخدمته الملفوفة بالعشق ومحبته للطلبة تجذبنا إليه. حيث كان الجلوس معه ومصاحبته تبث الطمأنينة والسكينة في قلوبنا.

وعلمنا فيما بعد أن السيد علي أرسلان هذا من تلاميذ سامي أفندي. حيث كان كلما سنحت له الفرصة يذهب لزيارته في أَرَن كوي. وبعد إحالته إلى التقاعد كان يتولى رعاية حديقة الدائرة الحكومية في أَرَن كوي.

كان دائماً ما يحدثنا عن هذه الذكرى:

"أثناء زيارتنا للشيخ سامي وبعد انتهاء مجلس الصحبة سأله أحد الإخوة السؤال الآتي:

سيدي الكريم! في الطرق الأخرى مناهج تربوية مختلفة مثل: خلوة الأربعين، والعزلة وغيرها. فلم ليس لدينا مثل ذلك؟

كان سامي أفندي جالساً على ركبتيه مشغولاً بالمراقبة. فنهض على ركبتيه وقد أخذته الحال، وقال:

بإذن الله تعالى يوجد في مجالس الصحبة هذه كل شيء. ففيها الخلوة، وفيها العزلة، وفيها اختلاء الأربعين. وكذلك فيها الكثير من المحاسن الأخرى".

إن هذا الطريق طريق كبار الأولياء الذين لم يخرجوا ولم ينحرفوا يوماً عن منهج الكتاب والسنة قيد أنملة. ومن يسلك هذا الطريق ويسلم له فالفرصة متاحة له لبلوغ مختلف أنواع المحاسن والجمال.

ولا يلزمه سوى السير عليه والمجاهدة بصبر وثبات. وما أكثر المكافآت التي وُعد بها الذين يسيرون على الطريق بصدق وإخلاص مع مراعاة آدابه.

عثمان نوري طوبّاش

الطعام الحلال

إن البدن الذي يؤدي العبادات ويقوم بالطاعات يستمد قوته وقدرته من الغذاء المادي والغذاء المعنوي؛ ذلك الغذاء الذي تنعكس طاقته الإيجابية أو السلبية على الجسد وعلى القلب وعلى العبادات والطاعات، فإذا كان الغذاء والطعام حلالاً طيبًا، انعكست الفيوضات والرحمات على البدن والقلب، وإذا كان الغذاء والطعام حرامًا خبيثًا انعكست الغفلة والقسوة والثقل على القلب والجسد وسائر أفعالهما.

وثمة ارتباط وثيق بين الحلال الكامن في الطعام والإخلاص والقبول الكامن في العمل الصالح، وعلى سبيل المثال فإن الدعاء لا يُرفع إلا بطعام حلال.

وقد وضَّح الرسول ﷺ هذا الأمر حين قال:

«أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (المؤمنون، ٥١) وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة،١٧٢)،

ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنَّى يُستجاب لذلك؟» (مسلم، الزكاة، ٦٥؛ الترمذي، تفسير القرآن، ٣)

ويقول محمود سامي رمضان أوغلو –رحمه الله–:

«إن الشرط الأول في قبول دعاء العبد هو إصلاح القلب باللقمة الحلال، والشرط الأخير هو إخلاص القلب وحضوره، أي التوجه إلى الله تعالى توجُّهًا تامًّا، فإذا لم تكن اللقمة في الفم حلالاً، فمن الصعب أن يكون هذا العبد مخلصًا حاضرًا، متوجهًا لله تعالى، تاركًا لما سواه».

وأولياء الله تعالى يدركون تمام الإدراك مدى خطورة المأكل الحرام، وما يترتب عليه من الأفعال والأقوال، وفي القاعدة التالية تجد مدى الحساسية الراقية في ذلك التحذير، يقولون:

«انتبه لما يدخل في فمك حين تأكل، ولما يخرج منه حين تتكلم».

ويضع لنا الهادي الأمين ﷺ الخطوط الفاصلة للحلال والحرام، ويضع معها الحدود التي تتقي بها الحرام، بل تتوقى مجرد الاقتراب منه، ويضرب لنا مثلاً حيًا مبسطًا ليشرح القضية برمتها، فيقول في الحديث الشريف:

«الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما مُشبَّهات لا يعلمها كثير من الناس، فمنْ اتَّقى المشبَّهات، استبرأ لدينه وعرضه، ومنْ وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعه، ألا وإن لكل ملَك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه» (البخاري، الإيمان، ٣٩)